سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٤٣٦)

تعلق القلب

باللّه وبغير اللّه من خلال مصنفات الرقائق والآداب والأذكار

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١-"وفاعل هذه الأمور، ومفسرها لنفسه أو للناس ــساحر، وإقدامه على الفعل تبعاً لذلك، أو امتناعه، أو طاعة غيره له ــ عبادة لغير الله ــتعالىــ لما صح عن رسول الله" أن الطيرة شرك، روى أبو داود بسنده عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله" قال: =الطيرة شرك =ثلاثاً+، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل+.(١)

وإن كان صاحب تلك الأعمال لا يعتقدها فهو كذب، وغش، وبهتان، ووسيلة إلى الشرك ممن قد يصدقه، وبحسب حاله يكون حكمه من الكفر،أو الفسوق والعصيان؛ فالفاسق من يتظاهر بتلك الأعمال كذباً من غير اعتقاد، ولا استعانة بالشياطين، وجعلِ تلك الأمور وسيلة ظاهرة يضلل بها.

والكافر هو فاعلها معتقداً إباحتها، أو صدقها ودلالتها، أو المستعين بالشياطين على كشف بعض الأمور، واتخاذ تلك وسيلة يخفي بها صُنْعَه+.(٢)

ومما يؤكد علاقة الطيرة بالسحر أن أهل الجاهلية كانوا يقصدون بالسؤال عن حوادثهم، وما أَمَّلوه مِنْ أعمالهم ــ مَن اشتهر عندهم بإحسان الزجر، والطيرة، وسموه عائفاً، وعرافاً.

---

(١) ــ رواه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود، وأخرجه الحاكم في المستدرك١/١٧، وصححه، ووافقه الذهبي.

= قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن×: =وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله ــتعالىــ.

وقال: =قوله: =وما منا إلا+ قال أبو القاسم الأصبهاني، والمنذري: في الحديث إضمارٌ، والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك. انتهى.

وقال الخلخالي: حذف المستثنى؛ لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا من أدب الكلام.

قوله: =ولكن الله يذهبه بالتوكل+: أي لما توكلنا على الله في جلب النفع، أو دفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده+. انظر فتح المجيد ٢/٥٢٣ــ٥٢٤.

(٢) ــ السحر بين الحقيقة والخيال ص١٨١ــ١٨٢.". (١)

٢-"النساء حرائر وإمائهن عند الحاجة بقوله يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا فذكر تخفيفه سبحانه في هذا الوضع وإخباره عن ضعف الإنسان يدل على ضعفه عن احتمال هذه الشهوة وانه سبحانه خفف عنه أمرها بما اباحه له من أطايب النساء مثنى وثلاث ورباع واباح له ما شاء مما ملكت يمينه ثم اباح له ان يتزوج بالإماء إن احتاج ذلك علاجا لهذه الشهوة وتخفيفا عن هذا الخلق الضعيف ورحمة به فصل وإن كان لا سبيل للعشاق إلى وصال معشوقه قدرا أو شرعا او هو ممتنع عليه من الجهتين وهو الداء العضال فمن علاجه إشعار نفسه اليأس منه فإن النفس متى يئست من

---

(١) السحر بين الماضي والحاضر ص/٩

الشيء استراحت منه ولم تلتفت إليه فإن لم يزل مرض العشق مع اليأس فقد انحرف الطبع انحرافا شديدا فينتقل إلى علاج آخر وهو علاج عقله بان يعلم بأن **تعلق القلب** بما لا يطمع في حصوله نوع من الجنون وصاحبه بمنزلة من يعشق الشمس وروحه متعلقة بالصعود إليها والدوران معها في فلكها وهذا معدود عن جميع العقلاء في زمرة المجانين وإن كان الوصال متعذرا شرعا لا قدرا فعلاجه بأن ينزله منزلة المتعذر قدرا إذا لم يأذن الله فيه فعلاج العبد ونجاته موقوف على اجتنابه فليشعر نفسه أنه معدوم ممتنع لا سبيل له إليه وأنه بمنزلة سائر المحالات فان لم تجبه النفس الأمارة فليتركه لأحد أمرين إما خشية وإما فوات محبوب هو أحب إليه وأنفع له وخير له منه وأدوم لذة وسرورا فان العاقل متى زان بين نيل محبوب سريع الزوال بفوات محبوب أعظم منه وأدوم وانفع والذ أو بالعكس ظهر له التفاوت فلا تبع لذة الأبد التى هى لا خطر فيها بلذة ساعة تنقلب آلآما وحقيقتها أنها أحلام نائم أو خيال لا ثبات له فتذهب اللذة وتبقى التبعة وتزول الشهوة وتبقى الشقوة

". (١)

٣-"هذه النصوص الشرعيه من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم تبين لنا أن العلاج بالقرآن مشروع، ولاشك أن شرع الله حق وصدق فى حقيقته ووجوب الإيمان به فالرقية الشرعية علاج لأمراض الروح والنفس والبدن قال صلى الله عليه وسلم : " لابأس بالرقى مالم تكن شركا "(١).

يقول الإمام ابن القيم : مرَّ بي وقت بمكة، سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء ، فكنت أعالج بها - بالحمد لله رب العالمين- آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مراراً، ثم أشربه، فوجدت لذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد على ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع بها غاية الانتفاع(٢).

وليس معنى هذا ولازمه ترك التداوي والاستشفاء بالأدوية الطبيعية المادية، والاكتفاء بقراءة آيات من القرآن الكريم. فليس ذلك من الرشد في الدين، ولا من الفقه لسنن الله تعالى الكونية. ولكن الشأن هو الجمع بين هذا وذاك، والانتفاع بالأمرين، والجمع بين بذل الأسباب الحسية والمادية؛ مع الاعتماد على ما جاء به التوجيه الشرعي، **وتعلق القلب** بالله تعالى وحده، فهو النافع وهو رب الأسباب تبارك وتعالى.

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) زاد المعاد : ابن القيم الجوزية ١٧٨/٤ ، الطب النبوي : ابن القيم الجوزية ص ١٣٩ .". (٢)

---

(١) الطب النبوي ص/٢١١

(٢) العلاج بالقرآن: (حقيقته، أهميته، حكمه، وضوابطه) ص/١٥

٤-"فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك حتى إنه ليقول أحياناً: إن كنتُ في الجنّة في مثل هذه الحالة، فإني إذا في عيش طيب، وللمحبة تأثيرٌ عجيب في انشراح الصدر، وطيب النفس، وكلما كانت المحبة أقوي وأشد كان الصدر أفسحَ وأشرح، ولا يضيق الصدر إلا عند رؤية البطّالين الفارغين من هذا الشأن، فرؤيتهم قَذَى عينه، ومخالطُتهم حُمَّي روحه .

. ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله تعالى **وتعلّقُ القلب** بغيره، والغفلة عن ذكره ومحبة سواه، فإن من أحبَّ شيئاً غير الله عُذِّبَ به، وسُجنَ قلبْه في محبة ذلك الغير، فما في الأرض أشقي منه، ولا أكسف بالاً ولا أنكد عيشاً، ولا أتعب قلباً،

فهما محبتان:-

الأولى: محبة هي جنة الدنيا، وسرور النفس، ولذة القلب، ونعيم الروح، وغِذاؤها ودواؤها، بل حياتُها وقُرَّةُ عينها، وهي محبة الله وحده بكل القلب، وانجذابُ قوي الميل، والإرادة، والمحبة كلِّها إليه

الثانية: هي محبة سبب في عذاب الروح، وغم النفس، وسجنُ القلب، وضيق الصدر، وهي سببُ الألم والنكد والعناء وهي محبة ما سواه سبحانه . ... (زاد المعاد صـ ٢٣-٢٥ بتصرف)

٦. دوام ذكر الله علي كل حال، وفي كل موطن

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ... ﴾ ... (الرعد:٢٨)

فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب وانشراحه، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه .

وكان مكحول – رحمه الله – يقول:

ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء

٧. الإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان والنفع لهم بما يمكن

فإن الكريم المحسنَ أشرح الناس صدراً وأطيبهم نفساً وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيقُ الناسِ صدراً وأنكدهم عيشاً وأعظمهم هماً وغمّاً ." (١)

٥-"وقد ضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الصحيح مثلاً للبخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جُنَّتَانِ من حديد، كلما هَمَّ المتصدق بصدقة، اتسعت عليه وانبسطت حتى يجُرَّ ثيابه ويُعفي أثرهُ، وكلما هَمَّ البخيل بالصدقة لزمت كلّ حلقةٍ مكانها ولم تتسع عليه، فهذا مَثَلُ انشراح صدر المؤمن المتصدق، وانفساح قلبه، ومثل ضيقِ صدر البخيل وانحصار قلبه .

---

(١) ما يشرع ويستحب أن يفعله المريض، والتداوي بالطب النبوي ص/٣٤

٨. الشجاعة

فإن الشجاع منشرح الصدر، متسع القلب، والجبانُ أضيق الناس صدراً، وهو محروم من سرور الروح ولذتها ونعيمها وانبهاجها، كما حُرم منها كل بخيل، وكل مُعرض عن الله تعالى غافل عن ذكره جاهل بالله وبأسمائه وصفاته، جاهل بدينه **متعلق القلب** بغير الله .

٩. إخراج دَغَلِ القلب من الصفات المذمومة

ودَغَلِ الشيء عيب فيه يفسده، فعلي الإنسان أن يخرج من قلبه الصفات المذمومة التي توجب ضيقه وعذابه: كالحسد، والبغضاء، والغل، والعداوة، والشحناء، والبغي .

وقد ثبت في سنن ابن ماجة بسند صحيح:

أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سُئل عن أفضل الناس ؟ فقال: كل مخموم القلب، صدوق اللسان، فقالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب ؟ قال: هو التقيُّ، النقيُ، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد" .

١٠. ترك فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم

فإن هذه الفضول تتحول آلاماً وغموماً وهموماً في القلب، ويتعذب بها صاحبها، بل هي غالب عذاب الدنيا والآخرة .

يقول ابن القيم – رحمه الله –:

ولا إله إلا الله، ما أنعم عيشَ من ضرب في كل خصلةٍ من تلك الخصال المحمودة بسهم فلهذا نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ (الانفطار: ١٣) ، وبين هذا وذاك مراتب متفاوتة لا يحصيها إلا الله تبارك وتعالى . أهـ ... بتصرف

ويضيف العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – في كتابه (الوسائل المفيدة للحياة السعيدة) جملة أسباب انشراح الصدر ومنها:-". (١)

٦-"ضرر القصص الباطلة على الناس

ونلحظ في قوله عز وجل: ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ))، أن الله سبحانه وتعالى قص علينا الحق من ذلك، والحق هو ما ينتفع الناس به وما وافق الصواب والواقع، فلم يذكر الله سبحانه وتعالى كما سمعنا من الإمام ابن كثير رحمه الله كثيراً من التفاصيل التي لا تفيد العباد في شأن قلوبهم وأعمالهم وسلوكهم أو تدبرهم، وهذا كما نعلم شأن القرآن في أكثر قصصه، لا يذكر تفاصيل الأمكنة والأزمنة وأسماء الأشخاص والبلاد في معظم هذه القصص إلا ما كان له به حاجة، وهو بالحق لأنه موافق لما وقع وجرى دون زيادة ولا نقصان، والله سبحانه وتعالى جعل القصص الحق مما ينبغي أن ينشغل الناس به، وأما

---

(١) ما يشرع ويستحب أن يفعله المريض، والتداوي بالطب النبوي ص/٣٥

القصص الباطل فقد ذمه في سياق هذه الآية قال تعالى: ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ))، أي: فلا تشغل نفسك بغير الحق، واهتم بهذا الحق، ففي مفهوم هذه الآية الكريمة أمر بالاهتمام بقصص الحق، ونهي عن الاشتغال بقصص الباطل، وهذا أمر عظيم الأهمية في حال قلب العبد المؤمن، فإن انشغال الإنسان بالقصص الباطل يدمر الإيمان في القلب تدميراً، ويشغله عما ينبغي أن يعده لمستقبله الحقيقي، ولذلك كان من أعظم الأمور مفسدة ما يظنه كثير من الناس صالحاً من شغل الناس بالقصص الباطلة، وتأليف هذه الأقاصيص الكاذبة، وبعضهم قد يظن أنها ربما تصبغ صبغة دينية إسلامية، وتجعل فيها بعض المفاهيم، والحق أن هذا في الجملة من أعظم ما يؤدي إلى فساد العقول والقلوب؛ لأن القلوب تتعلق بهذا الباطل فيسهل تعلقها بكل باطل بعد ذلك، وأما إذا تعلقت بالقصص الحق فهنا يحدث لها تعلق بالحق كله، وذلك لأن الباطل يجر إلى مزيد من الباطل؛ لذلك نقول: أمراض النظر والقراءة والسماع لقصص الباطل أمراض عديدة تظهر في سلوك الإنسان ومعتقداته، ويبدأ ذلك معه منذُ صغره، ويمتد معه حتى يكبر، ولذلك نجد الكثيرين يهتمون بالباطل والمظاهر أمام الناس كما قد تعودوا ونشئوا على هذا، فكل الأمر عندهم تمثيل في تمثيل، وما ينبغي أن يسمى تمثيلاً هذا الذي يفعلونه، فالتمثيل ضرب المثال، أما هذا الذي يفعلونه فهو الكذب بعينه، ولا حقيقة له ولا أصل، وهو يضر أعظم الضرر، ولذا فالنصيحة الأكيدة لشباب المسلمين ورجالهم ونسائهم أن يتجنبوا القصص الباطلة، ويكتفوا بقصص الحق قصص القرآن العظيم، فإن قصص الباطل تؤدي إلى **تعلق القلب** على الدوام به والعياذ بالله، فيظل دائماً على تلك الحال يعيش حياته بالباطل، وهو يستحضر ما قد رآه وسمعه، وعاش فيه قبل ذلك في صغره وكبره، فلا شك أن إغلاق هذا الباب واجب، سواء كانت قراءة كالألغاز والروايات المختلفة، أو سماعاً من وسائل المذياع والمسلسلات وغيرها، أو نظراً ورؤية كالأفلام والمسرحيات والتمثيليات، فإنها كلها تؤدي إلى أعظم الأضرار على القلب، وأما سماع القصص الحق واستحضارها في القلب وتدبرها فهو يزيد الإيمان أيما زيادة، قال تعالى: ((إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى))، وكما سمعنا، فقد استدل العلماء بهذه الآية الكريمة على زيادة الإيمان، فالله عز وجل يتفضل أولاً على عباده لتوفيقهم للإيمان، ثم يمن عليهم ثانياً إذا آمنوا بزيادتهم هدىً وإيماناً، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يخلق في قلوب عباده الهدى والإيمان.

وهذه الآية تدل على خلق أفعال العباد، فالله عز وجل هو الذي يخلق في قلوب من شاء الهدى، ويخلق في قلوب من شاء الضلال، وهو سبحانه يزيد إيمان من شاء بعدله ورحمته وحكمته سبحانه وتعالى، وهو عز وجل الذي ينزع الإيمان ويزيغ القلوب عدلاً منه وحكمة، كما قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥].". (١)

٧-"من ذاق عرف

لإخواننا الصوفية جملة لطيفة قوية، وهي: (من ذاق عرف).

فالذي يذوق الشيء هو الذي يعرف قيمته، فحين تكلم عاصياً على حلاوة العبادة، أو تكلمه على لذة المناجاة في جوف الليل وهو لا يصلي أصلاً فإنه لا يدرك ما تعنيه بالضبط، فمن ذاق شيئاً عرفه، فالذي يذوق طاعة الله يعرفها.

---

(١) القصص القرآني - ياسر برهامي ١٢/٩

وأعجب الأشياء أن تعرفه تعالى ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر معاملته ثم تعامل غيره، وأن تذوق ألم الوحدة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته، وأن تذوق العذاب عند **تعلق القلب** بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه.

والأعجب من هذا علمك أنك لابد لك منه، وأنك أحوج شيء إليه، وأنت عنه معرض.

أي أنك عارف بأنك لن تجد غيره، وأنك محتاج إليه، فليس هناك إلا هو ومع ذلك تعرض عنه، فلو فكر الإنسان في هذا لسلك في حياته مسلكاً آخر، ولو جئنا بكل فقرة من كتاب الفوائد لكان فيه صحوة للغافلين؛ لأن كتب ابن القيم فيها الدواء الشافي لكل قلب بعيد عن الله عز وجل.". (١)

٨-"فوائد وآثار الشجاعة

الشجاعة لها فوائد تعود على الفرد والمجتمع فمنها:

١ - الشجاعة سبب لانشراح الصدر:

قال ابن القيم: (فإن الشجاع منشرح الصدر واسع البطان متسع القلب والجبان أضيق الناس صدرا وأحصرهم قلبا لا فرحة له ولا سرور ولا لذة له ولا نعيم إلا من جنس ما للحيوان البهيمي وأما سرور الروح ولذتها ونعيمها وابتهاجها فمحرم على كل جبان كما هو محرم على كل بخيل وعلى كل معرض عن الله سبحانه غافل عن ذكره جاهل به وبأسمائه تعالى وصفاته ودينه **متعلق القلب** بغيره) (١).

٢ - الشجاعة أصل الفضائل:

فمن يتصف بالشجاعة يتحلى أيضاً بكبر النفس، والنجدة، وعظم الهمة، والثبات، والصبر، والحلم، وعدم الطيش، والشهامة، واحتمال الكد.

٣ - الشجاعة تحمل صاحبها على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم:

قال ابن القيم: (والشجاعة تحمله على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته وتحمله على كظم الغيظ والحلم فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنائها ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش كما قال: ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد: الذي يملك نفسه عند الغضب وهو حقيقة الشجاعة وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه) (٢).

٤ - الرجل الشجاع يحسن الظن بالله:

قال ابن القيم: (والجبن خلق مذموم عند جميع الخلق وأهل الجبن هم أهل سوء الظن بالله وأهل الشجاعة والجود هم أهل حسن الظن بالله كما قال بعض الحكماء في وصيته

عليكم بأهل السخاء والشجاعة فإنهم أهل حسن الظن بالله والشجاعة جنة للرجل من المكاره والجبن إعانة منه لعدوه على

---

(١) شرح كتاب الفوائد ٤/٩

نفسه فهو جند وسلاح يعطيه عدوه ليحاربه به

وقد قالت العرب الشجاعة وقاية والجبن مقتلة وقد أكذب الله سبحانه أطماع الجبناء في ظنهم أن جبنهم ينجيهم من القتل والموت فقال الله تعالى: قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ [الأحزاب: ١٦]

ولقد أحسن القائل وهو قطري بن الفجاءة الساري:

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعي

فصبرا في مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع

وما ثوب الحياة بثوب عز ... فيطوي عن أخي الخنع اليراع

سبيل الموت غاية كل حي ... وداعيه لأهل الأرض داعي

ومن لم يعتبط يسام ويهرم ... وتسلمه المنون إلى انقطاع

وما للمرء خير في حياة ... إذا ما عد من سقط المتاع) (٣).

٥ - لا تتم مصلحة الإمارة والسياسة إلا بالشجاعة:

---

(١) ((زاد المعاد)) لابن القيم (٢/ ٢٢).

(٢) ((الفروسية)) لابن القيم (ص ٤٩١).

(٣) ((الفروسية)) لابن القيم (ص ٤٩١).". (١)

٩-"معنى المحبة لغة واصطلاحاً

معنى المحبة لغة:

تدل على اللُّزُومُ وَالثَّبَاتُ، والحُبُّ: نَقِيضُ البُغْضِ. والحُبُّ: الودادُ والمَحَبَّةُ، وَكَذَلِكَ الحِبُّ بِالْكَسْرِ (١). وَتقول: أحبَبْتُ الشَّيْء فَأَنا مُحِبٌّ وَهو مُحَبٌّ (٢).

معنى المحبة اصطلاحاً:

(الْمحبَّة: الْميل إِلَى الشَّيْء السار) (٣).

وقال الراغب: (المحبة: ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا) (٤).

وقال الهروي: (الْمحبَّة: **تعلق الْقلب** بَين الهمة والأنس فِي الْبَذْل وَالْمَنْع على الْإِفْرَاد) (٥).

الكلمات المترادفة للمحبة:

للمحبة مرادفات كثيرة ذكرها أهل العلم تزيد على ستين اسماً؛ نذكر منها:

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية ١/٢٧٨

(المحبة، والعلاقة، والهوى، والصبوة، والصبابة، والشغف، والمقة، والوجد، والكلف، والتتيم، والعشق، والجوى، والدنف، والشجو، والشوق، والخلابة، والبلابل، والتباريح، والسدم، والغمرات، والوهل، والشجن، واللاعج، والاكتئاب، والوصب، والحزن، والكمد، واللذع، والحرق، والسهد، والأرق، واللهف، والحنين، والاستكانة، والتبالة، واللوعة، والفتون، والجنون، واللمم، والخبل، والرسيس، والداء المخامر، والود، والخلة، والخلم، والغرام، والهيام، والتدليه، والوله، والتعبد) (٦).

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٢٩٠).

(٢) ((تهذيب اللغة)) لأبي منصور الهروي (٤/ ٨).

(٣) ((المعجم الوسيط)) لإبراهيم مصطفى وآخرون (ص١٥١).

(٤) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب الأصفهاني (ص٢٥٦).

(٥) ((منازل السائرين)) للهروي (ص٨٨).

(٦) ((روضة المحبين)) لابن قيم الجوزية (ص١٦).". [1]

١٠-"مراتب المحبة

قسم العلماء المحبة إلى مراتب عديدة، ومن هؤلاء العلماء الإمام ابن قيم الجوزية الذي أوصلها إلى عشر مراتب، وهي كما يلي:

(أَوَّلُهَا: الْعَلَاقَةُ، وَسُمِّيَتْ عَلَاقَةً **لِتَعَلُّقِ الْقَلْبِ** بِالْمَحْبُوبِ.

الثَّانِيَةُ: الْإِرَادَةُ، وَهِيَ مَيْلُ الْقَلْبِ إِلَى مَحْبُوبِهِ وَطَلَبُهُ لَهُ.

الثَّالِثَةُ: الصَّبَابَةُ، وَهِيَ انْصِبَابُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ. بِحَيْثُ لَا يَمْلِكُهُ صَاحِبُهُ. كَانْصِبَابِ الْمَاءِ فِي الْحُدُورِ.

الرَّابِعَةُ: الْغَرَامُ وَهُوَ الْحُبُّ اللَّازِمُ لِلْقَلْبِ، الَّذِي لَا يُفَارِقُهُ. بَلْ يُلَازِمُهُ كَمُلَازَمَةِ الْغَرِيمِ لِغَرِيمِهِ.

الْخَامِسَةُ: الْوِدَادُ وَهُوَ صَفْوُ الْمَحَبَّةِ، مَرَاتِبُهَا عَشَرَةٌ وَخَالِصُهَا وَلُبُّهَا.

السَّادِسَةُ: الشَّغَفُ يُقَالُ: شُغِفَ بِكَذَا. فَهُوَ مَشْغُوفٌ بِهِ. وَقَدْ شَغَفَهُ الْمَحْبُوبُ. أَيْ وَصَلَ حُبُّهُ إِلَى شَغَافِ قَلْبِهِ.

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْحُبُّ الْمُسْتَوْلِي عَلَى الْقَلْبِ، بِحَيْثُ يَحْجُبُهُ عَنْ غَيْرِهِ.

الثَّانِي: الْحُبُّ الْوَاصِلُ إِلَى دَاخِلِ الْقَلْبِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ الْحُبُّ الْوَاصِلُ إِلَى غِشَاءِ الْقَلْبِ. وَالشَّغَافُ غِشَاءُ الْقَلْبِ إِذَا وَصَلَ الْحُبُّ إِلَيْهِ بَاشَرَ الْقَلْبَ.

السَّابِعَةُ: الْعِشْقُ وَهُوَ الْحُبُّ الْمُفْرِطُ الَّذِي يُخَافُ عَلَى صَاحِبِهِ مِنْهُ.

الثَّامِنَةُ: التَّتَيُّمُ وَهُوَ التَّعَبُّدُ، وَالتَّذَلُّلُ.

التَّاسِعَةُ: التَّعَبُّدُ وَهُوَ فَوْقَ التَّتَيُّمِ. فَإِنَّ الْعَبْدَ هُوَ الَّذِي قَدْ مَلَكَ الْمَحْبُوبُ رِقَّهُ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ نَفْسِهِ أَلْبَتَّةَ. بَلْ كُلُّهُ عَبْدٌ

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية ٢/٨

لِمَحْبُوبِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ. وَمَنْ كَمَّلَ ذَلِكَ فَقَدْ كَمَّلَ مَرْتَبَتَهَا.

الْعَاشِرَةُ: مَرْتَبَةُ الْخُلَّةِ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا الْخَلِيلَانِ إِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ) (١).

---

(١) ((مدارج السالكين)) لابن قيم الجوزية (٣/ ٢٩ – ٣٢).". [١]

١١-"وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: ((قد كان من قبلكم يؤخذ لرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)) (١).

وقال ابن القيم: (من استطال الطَّرِيق ضعف مَشْيه

وَمَا أَنْت بالمشتاق إِن قلت بَيْننَا ... طوال اللَّيَالِي أَو بعيد المفاوز) (٢).

٧ – **تعلق القلب** بالدنيا:

فمن أسباب اليأس والقنوط الأساسية **تعلق القلب** بالدنيا والفرح بأخذها والحزن والتأسف على فواتها بكل ما فيها من جاه وسلطان وزوجة وأولاد ومال وعافية

قال تعالى: وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ [الروم: ٣٦].

٨ – دنو الهمة والاستسلام للواقع وضعف الرغبة في التغيير:

قال محمد بن إبراهيم الحمد: (اليأس من الإصلاح يقع فيه كثير من الناس فإذا عاين الشرور المتراكمة والمصائب والمحن والفتن ومن الفرقة والتناحر والاختلاف الذي يسري في صفوف المسلمين يأس من الإصلاح .. ومثل ذلك في شأن كثير من الناس ممن يسرف على نفسه بالمعاصي ويتيه في أودية الرذيلة فتجده ييأس من إصلاح حاله والرقي بها إلى الأمثل بل ربما ظن أن التغيير مستحيل .. وهذا كله مظهر من مظاهر دنو الهمة وصغر النفس والعجز عن مواجهة المتاعب والمصاعب) (٣).

٩ – التركيز على جانب الترهيب فقط في الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري (٦٩٤٣).

(٢) ((الفوائد)) لابن القيم (١/ ٧٨).

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية ٢/١٩

(٣) انظر: ((الهمة العالية)) لمحمد بن إبراهيم الحمد (١/ ٥٠).". (١)

١٢-"الوسائل المعينة للتخلص من اليأس والقنوط

١ - الإيمان بأسماء الله وصفاته:

أن العلم والإيمان بأسماء الله وصفاته وخاصة التي تدل على الرحمة والمغفرة والكرم والجود تجعل المسلم لا ييأس من رحمة الله وفضله، قال علوي السقاف: (إذا علم العبد وآمن بصفات الله من الرحمة، والرأفة، والتَّوْب، واللطف، والعفو، والمغفرة، والستر، وإجابة الدعاء؛ فإنه كلما وقع في ذنب؛ دعا الله أن يرحمه ويغفر له ويتوب عليه، وطمع فيما عند الله من سترٍ ولطفٍ بعباده المؤمنين، فأكسبه هذا رجعة وأوبة إلى الله كلما أذنب، ولا يجد اليأس إلى قلبه سبيلاً، كيف ييأس من يؤمن بصفات الصبر، والحلم؟! كيف ييأس من رحمة الله من علم أن الله يتصف بصفة الكرم، والجود، والعطاء) (١).

٢ - حسن الظن بالله ورجاء رحمته:

قال السفاريني: (حال السلف رجاء بلا إهمال، وخوف بلا قنوط. ولابد من حسن الظن بالله تعالى) (٢).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبرا، تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا، تقربت إليه باعا، وإذا أقبل إلي يمشي، أقبلت إليه أهرول)) (٣).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، لأتيتك بقرابها مغفرة)) (٤).

قال الشافعي:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي دون عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما

فإن تنتقم مني فلست بآيس ... ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما

ولولاك لم يغوى بإبليس عابد ... فكيف وقد أغوى صفيك آدما

وإني لآتي الذنب أعرف قدره ... وأعلم أن الله يعفو ترحما (٥)

٣ - **تعلق القلب** بالله والثقة به:

لا بد على المرء أن يعلق قلبه بالله ويجعل الثقة به سبحانه وتعالى في كل أحواله و (لا يليق بالمسلم أن ييأس من روح الله

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية ٤٣/٣

ولا يقنط من رحمته، ولا يكون نظره مقصوراً على الأمور المادية والأسباب الظاهرة، بل يكون متلفتا في قلبه في كل وقت إلى مسبب الأسباب إلى الكريم الوهاب متحريا للفرج واثقا بأن الله سيجعل بعد العسر يسرا ومن هنا ينبعث للقيام بما يقدر عليه من النصح والإرشاد والدعوة ويقنع باليسير إذا لم يمكن الكثير وبزوال بعض الشر وتخفيفه إذا تعذر غير ذلك) (٦).

٤ - أن يكون بين الخوف والرجاء:

قال تعالى في مدح عباده المؤمنين: إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ [الأنبياء: ٩٠].

---

(١) ((صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة)) لعلوي السَّقَّاف (١/ ٣٦).

(٢) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) للسفاريني (١/ ٤٦٦).

(٣) رواه البخاري (٧٤٠٥)، مسلم (٢٦٧٥) واللفظ له.

(٤) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٥/ ١٦٧) (٢١٥١٠). قال الترمذي: حسن غريب. وصحح إسناده الضياء في ((المختارة)) (٤/ ٣٩٩)، وصححه السيوطي في ((الجامع الصغير)) (٦٠٦٥).

(٥) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١٠/ ٧٦).

(٦) انظر: ((الهمة العالية)) لمحمد الحمد (١/ ٥٠)."[1]

١٣-"وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل)) (١).

قال القرطبي:- ينبغي - (استدامة الدعاء وترك اليأس من الإجابة وداوم رجائهما واستدامة الإلحاح في الدعاء فإن الله يحب الملحين في الدعاء) (٢).

والمرء مع إلحاحه في الدعاء عليه أن يوقن بأن (النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا) (٣).

٨ - الأخذ بالأسباب:

يظهر لنا جلياً في قصة يوسف عليه السلام الأخذ بالأسباب وترك الاستسلام لليأس فقد قال نبي الله يعقوب عليه السلام لأولاده لما أبلغوه فقد ابنه الثاني: يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ [يوسف: ٨٧].

قال السعدي: (ورد النهي عن تمني الموت للضر الذي ينزل بالعبد، من مرض أو فقر أو خوف، أو وقوع في شدة ومهلكة، أو نحوها من الأشياء. فإن في تمني الموت لذلك مفاسد.

.. منها: أنه يضعف النفس، ويحدث الخور والكسل. ويوقع في اليأس، والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به. وذلك موجب لأمرين:

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية ٤٤/٣

اللطف الإلهي لمن أتى بالأسباب المأمور بها، والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه .. فيجعل العبد الأمر مفوضا إلى ربه الذي يعلم ما فيه الخير والصلاح له، الذي يعلم من مصالح عبده ما لا يعلم العبد، ويريد له من الخير ما لا يريده، ويلطف به في بلائه كما يلطف به في نعمائه) (٤).

٩ – الزهد في الدنيا:

فمن أسباب اليأس والقنوط الأساسية **تعلق القلب** بالدنيا والفرح بأخذها والحزن والتأسف على فواتها بكل ما فيها من جاه وسلطان وزوجة وأولاد ومال وعافية .. الخ فاعلم أن الله سبحانه يعطي الدنيا لمن لا يحب ومن يحب ولا يعطي الآخرة إلا لمن أحب وقد منع أحب الخلق إليه وأكرمهم عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الدنيا وما فيها فخرج وما ملأ بطنه من خبز البر ثلاث أيام متواليات، وأن المرء لن يأخذ أكثر مما قدر له فلا ييأس ولا يقنط لفوات شيء.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٥).

(٢) ((المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم)) للقرطبي (٧/ ٦٣).

(٣) رواه أحمد (١/ ٣٠٧) (٢٨٠٣)، والطبراني (١١/ ١٢٣) (١١٢٤٣)، والبيهقي في ((الاعتقاد)) (١٤٧)، والضياء في ((الأحاديث المختارة)) (١٠/ ٢٣) (١٣). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال البيهقي في ((الاعتقاد)): [له] شواهد عن ابن عباس، وصححه عبدالحق الإشبيلي في ((الأحكام الشرعية الكبرى)) (٣/ ٣٣٣)، وقال ابن رجب في ((جامع العلوم والحكم)) (١/ ٤٥٩): حسن جيد، وحسنه ابن حجر في ((موافقة الخبر الخبر)) (١/ ٣٢٧)، وقال السخاوي في ((المقاصد الحسنة)) (١٨٨): حسن وله شاهد، وحسنه محمد الغزي في ((إتقان ما يحسن)) (١/ ٢٠٠)، وقال السفاريني في ((شرح كتاب الشهاب)) (١١١): بمجموع أسانيده يصل إلى درجة الحسن، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (٤/ ٢٨٧).

(٤) انظر ((بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار)) للسعدي (١/ ١٧٥ – ١٧٦) بتصرف يسير.". (١)

١٤-"- مرِّن نفسك على عظمة الله!!

- فإن العبد إذا مرّن نفسه وقلبه على التفهم والتدبر والخشوع والخضوع في الصلاة انغرست في قلبه خشية الله ومحبته والرغبة فيما لديه، لم تفارقه هيبة خالقه في جميع أحواله وأعماله.

- فإذا سولت له نفسه أمرًا أو زين الشيطان له سوءًا تبرأ منهما قائلاً إني أخاف الله رب العالمين.

- الذكر نوعان:

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية ٤٦/٣

- قال القاضي عياض: وذكر الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان:
- أحدهما: وهو أرفع الأذكار وأجلها: الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سمواته وأرضه.
- والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي فيتمثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه
- وأما ذكر اللسان مجرداً فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث.

- ثمرة ذكر الله تعالى: إن ذكر الله عز وجل، يحيي في نفوسهم استشعار عظمة الله، وأنه على كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولايؤوده حفظهما فحينها يشعر الذاكر بالسعادة وبالطمأنينة يغمران قلبه وجوارحه (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب).
- إنه الله جل جلاله: قال ابن القيم: من أعجب الأشياء:
- أن تعرف الله ثم لا تحبه.
- وأن تسمع داعي الله ثم تتأخر عن الإجابة.
- وأن تعرف قدر الربح في معاملة الله ثم تعمل لغيره.
- وان تعرف قدر غضب الله ثم تتعرض له.
- وأن تذوق ألم الوحشة في معصيت الله ثم لا تطلب الأنس بطاعته
- وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته.
- وأن تذوق العذاب عند **تعلق القلب** بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه.
- وأعجب من هذا علمك انك لابد لك منه وانك أحوج شيء إليه وأنت عنه معرض وفيما يبعدك عنه راغب. أهـ بتصرف
- أعجب الأشياء: قيل للفضيل بن عياض: ما أعجب الأشياء؟ قال: أن تعرف الله ثم تعصيه.". (١)

١٥-"- غزوة بدر والتعلق بالله: إن الأسباب مهما بلغت مكانتها تبقى في دائرة الأسباب فلا **يتعلق القلب** بها، بل يتعلق بالله تعالى الذي له ملك السموات والأرض، ولقد أكد الله على هذه الحقيقة عند ذكره لإمداد المسلمين في غزوة بدر بالملائكة قال تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). فالملائكة ما هم إلا سبب، ويجب ألا تتعلق القلوب بهم، بل تتعلق بالناصر الحقيقي وهو الله تعالى.
- التربية العملية: ماذا لا تربي ولدك منذ البداية على أن يتعلق بالله؟
فإذا طلب شيئًا مفيدًا ولم تستطع أن تجيبه فقل له: هيا يا بني نصلي ركعتين وندعو الله فيهما، فإنَّ الله هو الرزاق، وهو ربنا

---

(١) هكذا كان الصالحون ص/٤١

المدبر لأمورنا، فإذا لم يمنحني المال الذي أستطيع به أن آتيك بما تريد، فاعلم أنَّ هذا ليس مفيدًا لنا الآن؛ لأنَّ الله صرفه عنَّا.

من وصايا الصالحين

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) قال السعدي: قال له قولا به يعظه بالأمر، والنهي، المقرون بالترغيب والترهيب، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له السبب في ذلك فقال: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

- ووجه كونه عظيما، أنه لا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئا، بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه. ا. هـ

- انو الخير دائما: قال عبد الله بن الإمام أحمد لأبيه يوما أوصني يا أبت، فقال: يا بني انو الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير.". (١)

١٦-"جَانٍّ، ثُمَّ تَلاَ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا ... ﴾ الآيَةَ، ثُمَّ هَدَأَ الصَّوْتُ. فَقَالَ مَسْلَمَةُ لِفَاطِمَةَ: قَدْ قُبِضَ صَاحِبُكِ " (١)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِيَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ لَمْ تَسْمَعِ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا؟ أَوَّلُ يَوْمٍ يَجِيئُكَ الْبَشِيرُ مِنَ اللَّهِ إِمَّا بِرِضَى اللَّهِ وَإِمَّا بِسَخَطِهِ، وَيَوْمٌ تَقِفُ فِيهِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ يَأْخُذُ فِيهِ كِتَابَكَ إِمَّا بِيَمِينِكَ وَإِمَّا بِشِمَالِكَ، وَلَيْلَةٌ يَبِيتُ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ وَلَمْ يَبِتْ لَيْلَةً قَبْلَهَا مِثْلَهَا، وَلَيْلَةٌ صَبِيحَتُهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَعْدَهَا لَيْلَةٌ " (٢)

وقَالَ الْمُزَنِيُّ: دَخَلْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيْهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟
فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلاً، وَلإِخْوَانِي مُفَارِقاً، وَلِسُوءِ عَمَلِي مُلاَقِياً، وَعَلَى اللهِ وَارِداً، مَا أَدْرِي رُوْحِي تَصِيْرُ إِلَى جَنَّةٍ فَأُهَنِّيْهَا، أَوْ إِلَى نَارٍ فَأُعَزِّيْهَا، ثُمَّ بَكَى وَأَنْشَأَ يَقُوْلُ:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي * جَعَلْتُ رَجَائِي دُوْنَ عَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ * بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ * تَجُوْدُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا
فَإِنْ تَنْتَقِمْ مِنِّي فَلَسْتُ بِآيِسٍ * وَلَوْ دَخَلَتْ نَفْسِي بِجُرْمِي جَهَنَّمَا
وَلولاَكَ لَمْ يُغْوَى بِإِبْلِيْسَ عَابِدٌ * فَكَيْفَ وَقَدْ أَغوَى صَفِيَّكَ آدَمَا
وَإِنِّيْ لآتِي الذَّنْبَ أَعْرِفُ قَدْرَهُ * وَأَعلَمُ أَنَّ اللهَ يَعْفُو تَرَحُّمَا (٣)

---

(١) هكذا كان الصالحون ص/٥٧

فالأعمَالُ الصَّالحَاتُ سَبَبُ كلّ خَيرٍ في الدّنيَا والآخِرة، وأفضلُ الأعمَالِ وأَعظَمُها أَعمَالُ القُلوبِ كالإخلاصِ وكَالإيمَانِ والتوكُّل والخَوفِ والرَّجَاءِ والرَّغبَةِ والرَّهبةِ وَحُبِّ مَا يحِبُّ الله وبُغضِ ما يُبغِض الله وتَعلُّق القَلبِ باللهِ وَحدَه في جَلبِ كُلِّ نَفعٍ ودفعِ كلِّ ضُرٍّ كَمَا

---

(١) – سير أعلام النبلاء (٥/ ١٤٢)

(٢) – شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٠٢٩٥) والزُّهْدُ أَبِي دَاوُدَ (٣٦٦) صحيح موقوف

(٣) – تاريخ الإسلام للإمام الذهبي – موافقة للمطبوع – (١٤/ ٣٤٠) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٧٦) وقال:إِسْنَادُهُ ثَابِتٌ عَنْهُ.". (١)

١٧–"وسائل إزالة تعلق القلب بالذنب

ينبغي على كل ذي لُبٍّ وفطنة أن يحذر مغبة المعاصي وعواقب الذنوب؛ إذ أن الذنوب سموم مهلكة، ولها تأثيرات قبيحة، ومرارتها تزيد على حلاوتها أضعافًا مضاعفة، والعاقل من أعد لنفسه زادًا يتوصل به إلى ربه؛ فإنه ليس بين العبد وبين الله – تعالى – قرابة ولا رحم؛ وإنما هو – سبحانه – قائم بالقسط حاكم بالعدل؛ فمع أنه غفور رحيم، لكنه ذو عذاب أليم! فالحذر الحذر!!

ومن الأسباب التي تزيل أثر تعلق القلب بالذنب ما يأتي:

أولاً: اعلم أن الذنب إما أن يكون: بسبب الغفلة؛ فطريق علاجه العلم.

فعلى التائب أن يسلك طريق الهداية من تَعَلُّم العلم، وتعليمه، والدعوة إليه، والعمل به، ويعتقد أن الذنوب مضرة يجب تركها، ويتذكر إنذارات القرآن الكريم ووعيده للعاصين، وما جرى للعصاة على اختلاف الأمم بسبب ذنوبهم.

وإن كان الذنب بسبب غلبة الشهوة ونوازع النفس، فطريق". (٢)

١٨–"المبحث الحادي والعشرون: الأسباب التي تزيل الغفلة وتجلب الخشوع في الصلاة

يجب ترك الأسباب التي تزيل الخشوع في الصلاة، أو تضعفه، والعمل بالأسباب التي تجلبه وتقوّيه، وهي كثيرة، منها الأسباب الآتية:

السبب الأول: معرفة الله تعالى: بأسمائه، وصفاته، وألوهيَّته، وربوبيَّته، فيجب على العبد أن يعلم أن الله تعالى له الأسماء الحسنى، والصفات العُلا؛ فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، من غير تعطيل، ولا

---

(١) الاستعداد للموت ص/٢١١

(٢) التوبة إلى الله ص/٤٥

تحريف، ولا تَكْييفٍ، ولا تمثيل، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وأن الله تعالى هو: الخالق المالك لكل شيء، المدبّر له، لا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، ولا مذلَّ لمن أعزَّ، ولا معزَّ لمن أذلَّ، ولا خافض لمن رفع، ولا رافع لمن خفض، ومن هذه صفاته وأسماؤه وأفعاله، فهو المستحقُّ للعبادة وحده، لا شريك له، ولا معبود بحقٍّ سواه، ولا ربَّ غيره، فيجب على العبد أن يعبد هذا الربَّ الكريم كأنه يراه؛ فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن معرفة الله نوعان:

النوع الأول: معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس: البرُّ والفاجر، والمطيع والعاصي.

النوع الثاني: معرفة توجب الحياء منه، والمحبة له، **وتعلّق القلب** به، والشوق إلى لقائه، وخشيته، والإنابة إليه، والأُنس به، والفرار من الخلق إليه، وهذه هي المعرفة الخاصة، والناس يتفاوتون فيها؛ ولهذه المعرفة بابان واسعان:". (١)

١٩-"* الموطن السادس عشر: عند الدعاء:

١ – قال ابن عطاء الله رحمه الله تعالى: للدعاء أركان، وأجنحة، وأسباب، وأوقات؛ فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق أسبابه نجح وإن وافق مواقيته فاز.

فأركانه: حضور القلب، والرقة، والاستكانة، والخضوع، **وتعلق القلب** بالله تعالى، وقطعه من الأسباب.

وأجنحته: الصدق.

وأسبابه: الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومواقيته: الأسحار (١).

٢ – قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وله ثلاث مراتب:

إحداها: أن يصلي عليه قبل الدعاء وبعد حمد الله تعالى.

والمرتبة الثانية: أن يصلي عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره.

والثالثة: أن يصلي عليه في أوله وآخره، ويجعل حاجته متوسطة بينهما.

فأما المرتبة الأولى: فالدليل عليها حديث فضالة بن عبيد، رضي الله عنه.

---

(١) انظر إتحاف الخلان بالأجوبة الحسان على أسئلة أحمد سليمان، للعلامة وجيه الدين السيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمن حسن عبد الباري الأهدل، رحمه الله تعالى- المولود، ١٣٠٧هـ والمتوفى،١٣٧٢هـ، (ص ٧٦) ط مكتبة ومطبعة

---

(١) الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة ص/١٦٠

النهضة الحديثة بمكة.". (١)

٢٠-"لأن الله عز وجل أوله قلوب العباد إلى ألوهيته، فمن صان قلبه عما تورد النفس عليه، بقى قلبه مع الله عز وجل في جميع الأحوال، فهو أبدا واله بالله عز وجل، والوله تعلق القلب به، ومن لم يصن قلبه حتى أوردت النفس عليه أفراحها التي أورد عليها الهوى من باب النار، فقد صار وله قلبه إلى الهوى. فالصائن أوله قلبه الله بأفراحه وحبه. والتارك للصيانة أوله قلبه الهوى بأفراحه إلى باب النار، ولجت تلك الزينة. فالكيس لما أبصر هذا التدبير من الله تعالى أنه خلق الآدمي هكذا، وجعل فيه قلباً ونفساً، ثم جعل للقلوب محلاً في عظمته، حتى تسير القلوب إلى ذلك المحل، فيكون مقامها هناك حتى إذا صار القلب إلى أن يستعمل جوارحه استعملها بذكره، معظمها لشأنه، حافظاً
لحدوده في جميع حركات جوارحه، مؤتمراً بأمره، متناهياً عن نهيه وإن دق، مراعيا لتدبيره، راضيا بحكمه، وذلك كله لقوة ما يلاحظه من عظمته وجلاله بين يديه، فيخشاه ويتقيه، ويخافه ويرجوه، ويستحي منه ويهابه ويعظمه، وخلق بباب النار هذه الأفراح والزينة من النار، وحفت النار بها، ثم خلق الهوى وأصله من الشيطان، فمر بهذه الأفراح إلى نفس هذا الآدمي، حتى تستعمل هذه الأشياء الملائمة لها، اللينة في ذاتها، الناعمة لجسدها، بذلك الفرح، فابتلى عباده بهذين الفرحين، فرح هناك بين يدي عظمته ومحله القلوب، وفرح هاهنا يورده الهوى، فيزيله الهوى عن ذلك الوله الذي في ذلك المحل، فيرده من هناك إلى ما هاهنا، فمن التفت عن ذلك الوله إلى هذا الوله، حجب عن الله عز وجل، ونفى عن الوله، ورجع قلبه لما رجعت النفس إلى هذا الوله الذي أولهه الهوى، فخاب وخسر،". (٢)

٢١-"الأضرار عن نفسه)) (١).
كما كان، من دعاء موسى - عليه السلام -: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢).
وكما في دعاء زكريا - عليه السلام -: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (٣)، ((فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله تعالى؛ لأنه يدل على التبري من الحول، والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته)) (٤).
* التوسل إلى الله - عز وجل - بسابق نعمه وآلائه:
كما في دعاء زكريا - عليه السلام -، فكان في آخره: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (٥).
فتوسل إلى الله تعالى بسابق إنعامه عليه، وإحسانه في إجابة دعائه، ولم يرُدّه خائباً.
ودعاء يوسف - عليه السلام -: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا

---

(١) تنبيه المؤمن الأواه بفضائل لا إله إلا الله ص/١٤٨
(٢) رياضة النفس ص/٤٦

(١) تيسير اللطيف المنان، ص ١٣٢.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٤.

(٤) تفسير ابن سعدي، ص ٥٦٩.

(٥) سورة مريم، الآية: ٤.". (١)

٢٢-"الحول والقوة، **وتعلّق القلب** بحول الله، وقوته؛ لقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (١).

١٥ - أنَّ الشكوى إلى الله تعالى لاتنافي الصبر، وإ نما هي من كمال العبودية لله تعالى.

١٦ - يُستحبّ التوسّل إلى الله تعالى بنعمه، وعوائده الجميلة السابقة عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾، ((أي لم أشقَ يا ربّ بدعائك؛ لأنك لم تخيّب دعائي؛ بل كنت تجيب دعوتي، وتقضي حاجتي، فهوتوسّل إليه بما سلف من إجابته وإحسانه طالباً أن يجازيه على عادته التي عوّده من قضاء حوائجه، وإجابته إلى ما سأله)) (٢). لهذا يستحسن للداعي أن يستحضر نعم الله تعالى عليه، وأنوع إحسانه بين يدي دعائه.

١٧ - ينبغي للداعي أن يكون جُلُّ دعائه في مطالب الدين؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ (٣)، أي: ((وإني خفت من يتولى على بني إسرائيل من بعد موتي، ألاّ يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك)) (٤).

١٨ - أنّ فعل الخيرات والمسارعة إليها من أعظم أسباب

(١) انظر: تفسير ابن سعدي، ص ٥٦٩، وتيسير اللطيف المنان، ص ١٣٢.

(٢) بدائع الفوائد، ٣/ ٥٠٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥.

(٤) تفسير ابن سعدي، ص ٥٦٤.". (٢)

٢٣-"سر ميل القلب إلى الصور الجميلة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. ... أما

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة ص/٦٤

(٢) شرح الدعاء من الكتاب والسنة ص/١٤٥

بعد:
فإن من أعظم أسباب الإعراض عن الله عدم معرفة حقيقة العبودية وسرّها وأنها مجرد تكليف ومشقة وخلاف مطلب القلب ومُتَعلَّقِة.
فالشاب ينشأ وفي قلبه ميل ومحبة للجمال وتعلّق بالصّور الجميلة هذا أعظم ما يصبوا إليه قلبه في الغالب ثم قد تثبت محبته لصورة واحدة وقد ينتقل من صورة إلى غيرها والإرادة واحدة وهي طلب اللذة فلولا أنه يجد لذة عظيمة بهذه الصورة لما تعلق قلبه بها، وطلب اللذّة والنعيم ليس أمراً مذموماً وإنما الشأن في سرِّ هذه اللذة والنعيم ما هو إذا كان حاصلاً من التعلق بالصور، كذلك هل هذا هو **متعلَّق القلب** الحقيقي الذي يحصل به نعيمه وسعادته". (١)

٢٤-"محبوب القلوب الحق
الرابع: معرفة المحبوب الحق وما يتصف به من صفات الكمال والجمال والجلال.
ويكفي في هذا أن أهل الجنة بعد ما يباشرون نعيمها الذي هو فوق الوصف إذا رأوا ربّهم وسمعوا كلامه وَدُّوا ألاَّ يعودوا إلى نعيمهم فيها وأن يدوم لهم قُرْب محبوبهم ورؤية وجهه الكريم وسماع كلامه حيث أن هذا **متعلق القلب** الحقيقي الذي لذته فيه أعظم من لذة النعيم المخلوق في الجنة فضلاً عن محبوبات الدنيا ونعيمها، لكن لابد من التّخْلية قبل التحْلية فتفريغ القلب من المحبوبات المتصوَّرة المتخيَّلة المنقوشة صورها في القلب لابد منه لتبقى المحبة الحقيقية بلا مُزَاحم بانجلاء هذه الحجب الكثيفة، لِتُفْضي المحبة للمحبوب الحق، وتأمل هذه". (٢)

٢٥-"الرجوع إلى الله
والعشق حركة قلب فارغ يعني من محبّة الله التي هو مفطور عليها، فالمطلوب هنا التوبة والرجوع إلى الله عزَّ وجلَّ من مثل هذه الأمور العظيمة التي قد لا يخطر على قلب المبتلى بها أنها آثام وهي من عظيم الإجرام وقد يتصور الكثير أن التوبة فقط من ترك الطاعة وفعل الفاحشة ولا يرى أن العشق مثل ذلك فقد لا يتوب منه مع أنه لُبّ العبودية لأن **تعلق القلب** بغير المحبوب الحق من أعظم الحجب. هذا كالمدخل والتنبيه لأمور جليلة عظيمة، الإسهاب فيها يطول ويطول ومفتاح ذلك التفكر، ومن أراد التزود من هذا بل وأحسن منه وأجمل وأوفى للمقصود فعليه بكتاب (طريق الهجرتين) لابن القيم، و (الجواب الكافي) له و (روضة المحبين) له، و (ذم". (٣)

---

(١) عوائق في طريق العبودية ص/٣
(٢) عوائق في طريق العبودية ص/٨
(٣) عوائق في طريق العبودية ص/١٢

٢٦-"حبك الشيء يُعمي ويُصم

إذا **تعلق القلب** بشيء سوى الله يرى أن فيه أُنسه وسروره وشفاء قلبه بل ولذّته وتنعّمه فإنها تعمى عينه عن النظر إلى مساويء هذا المحبوب وتصم الأذن عن سماع العذل فيه كما قيل:

وكذّبتُ طرفي فيك والطرف صادقُ

وأسْمَعْتُ أذْني منك ما ليس تسمعُ

ولذلك يقال: العشق لا يكون إلا مع فساد التصور للمعشوق وإلا فمع صحة التصور لا يحصل إفراط في الحب.

وتأمل الآن ما يقوله من بُليَ بعشق جارية سوداء.

أُحِبُّ لِحُبّها السودانَ حتى ... أُحِبُّ لِحُبّها سود الكلاب". (١)

٢٧-"، فإذا ترك الإنسان ذلك إهواناً بالسبب، ثم دعا وسأل، فربما قيل له: قد جعلنا لعافيتك سبباً فإذا لم تتناوله كان إهواناً لعطائنا، فربما لم نعافك بغير سبب

لإهوانك للسبب ، وما هذا إلا بمثابة من بين قراحه أي مزرعته وماء الساقية رفسه بمسحاة، فأخذ يصلي صلاة الاستسقاء طلبا للمطر، فإنه لا يستحسن منه ذلك شرعاً ولا عقلاً اهـ.

قال ابن مفلح في الآداب: قال الشيخ تقي الدين -رحمه الله- الله هو الذي خلق السبب والمسبب، والدعاء من جملة الأسباب التي يقدرها، فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب بالكلية قدح في الشرع، بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله سبحانه وتعالى، والله يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغير ذلك ما يشاء. ا. هـ

وقال أيضاً: وقال أحمد للميموني: استغن عن الناس، فلم أر مثل الغني عن الناس، وقال رجل للفضيل بن عياض -رحمه الله- لو أن رجلاً قعد في بيته وزعم أنه يثق بالله فيأتيه برزقه، قال: إذا وثق به حتى يعلم أنه وثق به لم يمنعه شيئاً أراده، ولكن لم يفعل هذا الأنبياء ولا غيرهم، وقد الله تعالى: وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ (الجمعة: من الآية١٠، ولا بد من طلب المعيشة. ا. هـ

وقال ابن العربي في أحكام القرآن، عند تفسير قوله تعالى: وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك. قال: فيها جواز التعلق بالأسباب، وإن كان اليقين حاصلاً، لأن الأمور بيد مسببها، ولكنه جعلها سلسلة، وركب بعضها على بعض، فتحريكها سنة، والتعويل على المنتهى يعني القدر يقين، والذي يدلك على جواز ذلك نسبة ما جرى من النسيان إلى الشيطان، كما جرى لموسى صلى الله عليه وسلم في لقاء الخضر، وهذا بين فتأملوه. ا. هـ. والمقصود أن **تعلق القلب** بالله تعالى لا يتعارض مع تعلق البدن بالأسباب ، وأن حقيقة التوكل هي عمل القلب وعلمه، فعمل القلب الاعتماد على الله عز وجل والثقة به، وعلمه معرفته بتوحيد الله سبحانه بالنفع والضر.

---

(١) عوائق في طريق العبودية ص/٣٧

وعمل القلب لا بد أن يؤثر في عمل الجوارح والذي هو الأخذ بالأسباب، فمن ترك العمل -أي الأخذ بالأسباب-فهو العاجز المتواكل الذي يستحق من العقلاء التوبيخ والتهجين، ولم يأمر الله بالتوكل إلا بعد التحرز والأخذ بالأسباب، قال الله تعالى: وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ﴿آل عمران:١٥٩﴾، وقد قال عليه". [(١)]

٢٨-"الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. ... أما بعد:

فإنه من الملاحظ في زماننا هذا تغليب الرجاء على الخوف مما أدّى إلى إدلال وانبساط ظاهر من كثرة ذكر الحور العين ونحو ذلك من المخلوقات التي هي في ذاتها مخلوقات، ولم تكن هذه حال الصحابة والسلف بل كانوا يُغلّبون الخوف إلا عند الموت فيُحسنون ظنونهم بالله عز وجل.

والربُّ سبحانه وإن كان عَظّم الجنة المخلوقة فإن التعلق بها وأن تكون هي مبلغ العلم نقص كبير إذْ إنَّ حقيقة التألّه وهو التعبد إنما المراد منه **تعلق القلب** محبة وخوفاً ورجاء بذات المألوه المعبود سبحانه ليس بمخلوقات دونه، وهذا هو معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لأن المألوه هو الذي يأْلَه القلب محبةً وشوقاً وخوفاً ورجاءً.

يُوضح ذلك أن الرب سبحانه تعبّد عباده بهذه الكلمة وليس من شرطها أن يسكنهم جنة مخلوقة إذا هم أطاعوه حيث قال سبحانه وتعالى في الأثر:". [(٢)]

٢٩-"رُوي عما فعلته جارية من جواري هارون الرشيد؛ فقد كان من عادته أن يُتحف جواريه في الأعياد بهدايا من الجواهر ونحوها، فكان يأمر بوضع تلك الهدايا في مجلس من مجالسه، ويقول لجواريه: " من أرادت من ذلك شيئاً وأعجبها فلتضع يدها عليه " – أي بحيث يكون لها -، فوضعت كل جارية يدها على ما أحبت من تلك التُّحَف إلا واحدة منهن فإنها وضعت يدها على رأس هارون!، فسألها عما أرادت بهذا الفعل؟!، فقالت: " أنت طلبت من كل واحدة منا أن تضع يدها على ما تحب وأنا لاشيء يعدل حبي لأمير المؤمنين! "، فأعجبه ذلك منها وصارت أحظى جواريه عنده!، فتأمل ذلك، وهكذا نحن عند الله!.

ويضرب ابن القيم – رحمه الله – مثلاً آخراً فيقول: (وإذا كان لك أربعة عبيد؛ أحدهم: يريدك ولا يريد منك بل إرادته مقصورة عليك وعلى مرضاتك.

والثاني: يريد منك ولا يريدك بل إرادته مقصورة على حظوظه منك.

والثالث: يريدك ويريد منك.

والرابع: لا يريدك ولا يريد منك بل هو **متعلق القلب** ببعض عبيدك فلَهُ يريد، ومنه يريد، فإن آثر العبيد عندك وأحبهم

---

(١) معالم الطريق إلى الله ص/٧١

(٢) منازل الحور العين في قلوب العارفين برب العالمين ص/٣

إليك وأقربهم منك منزلة والمخصوص من إكرامك وعطائك بما لا يناله العبيد الثلاثة هو". (١)

٣٠-"خاتمة الكتاب

وبالجملة فإن مقصود الكتاب ومداره هو أن يحقق العبدُ عبوديته لإلهه الحق سبحانه، والتي أصلها المحبة، وذلك بمعرفته والشوق إليه **وتعلق القلب** والروح به دون أن يغلب على قلبه الشوق والتعلق بمخلوق لم يُخلق ولم تُودَع المحبة في قلبه من أجله ولو كان الحور العين فضلاً عن محبوبات العالَم السفلي من الصُّوَرِ والمال والرياسة، مع أن هذا لا يعني التقليل من شأن الحور العين، وإنما المراد هو المعرفة وإنزال كل شيء منزلته لتجريد المحبة عمَّا يشوب أو يغلب.
والله الموفق، وله الحمد في الأولى والآخرة، ونسأله برحمته كما مَنَّ بمعرفة ذلك مقالاً أن يَمُنَّ به حالاً، فالشأن ليس بمجرد الوصف وإنما الشأن كل الشأن فيما يصل إلى القلوب من هذا النعيم والجنة العاجلة التي قال فيها شيخ الإسلام – رحمه الله -: (في الدنيا جنة مَن لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة) (١)، وهي جَنَّة معرفته سبحانه، ومحبته، والشوق إليه.
وإن مما ينبغي لنا أن نخافه أن يكون حِجَابُ الغَيرة قد حال بيننا وبين ما وصل إليه العارفون، وأناخ بفنائه المحبون، وأجاب حاديه المخلصون،

---

(١) ذكره عنه تلميذه ابن القيم في مدارج السالكين ١/ ٤٥٨، والوابل الصيب ص (٦٩)، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص (٥٢).". (٢)

٣١-"فتفسد صلاته، وإذا لم يكن معه إناء به ماء لم يستطع أن يتطهر لصلاته، وإذا لم يكن معه مقص لم يستطع أن يقص شاربه كما أمرنا الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

غزوة حنين نموذج قرآني
تُذم الأسباب إذا **تعلق القلب** بها وحدها ونسي مسببها، وقد ذكر القرآن لنا نموذجًا من الاعتماد على الأسباب الظاهرة وحدها، فإذا هي لا تحقق نتائجها: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].
لا تنس أن الله معك، فما تعجز عنه الأسباب المادية تكمله القدرة الإلهية، فقد قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢].

---

(١) منازل الحور العين في قلوب العارفين برب العالمين ص/٢٩

(٢) منازل الحور العين في قلوب العارفين برب العالمين ص/٨١

حدث في ليلة الهجرة

وفي الغار قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأبي بكر – رضي الله عنه –: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] بعد أن أخذ بكل الأسباب، هيأ من يبيت في فراشه –علي بن أبي طالب– ومن يرافقه في الطريق –أبو بكر الصديق– ومن يدله على الطريق –عبد الله بن أريقط– ومن يأتي بالزاد –أسماء بنت أبي بكر– ومن يعفي آثارها بغنمه –عامر بن فهيرة– : ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

فلم تقتلوهم ولكن ...

وفي غزوة بدر: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] وفي غزوة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] وقال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

آلله أمرك بهذا؟!

ولقد أخذ سيدنا إبراهيم هاجر وابنها الرضيع سيدنا إسماعيل، وسار بهما في الصحراء، حتى وصلوا إلى بيت الله الحرام، فوضعهما في هذا المكان، وليس معهما إلا قليل من التمر، وإناء به ماء، ثم تركهما وهمَّ بالانصراف، فأسرعت هاجر وراءه وهي". (١)

٣٢–"الإيمان، وحين يحرم نعمة اليقين.

إن آيات الرب تبارك وتعالى في خلقه ومخلوقاته تبصرة وذكرى، يتبصر بها من عمى القلب، ويتذكر بها من غفلته، فيعظم من خلقه.

فالمضاد للعلم، إما عمى القلب، وزواله بالتبصر، وإما غفلته، وزواله بالتذكر.

وأعظم وأفضل ما أنفقت فيه الأنفاس .. التفكر في آيات الله .. وعجائب صنعه .. والانتقال منها إلى **تعلق القلب** بالله .. وتعظيمه وتوقيره سبحانه دون شيء من مخلوقاته بتوحيده والإيمان به .. وطاعته، وعبادته.

إن هذا الإنسان عجيبة في تكوينه الجسماني في أسرار هذا الجسد .. وعجيبة في تكوينه الروحي في أسرار هذه النفس.

وحيثما وقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه، التقى بأسرار تدهش وتحير، خلق أعضائه وتوزيعها، وأشكالها ووظائفها، وفي كل عضو من أعضائه، بل في كل جزء من عضو، خارقة تحير الألباب، لو كانت هناك عقول.

وأعجب من هذا أسرار روحه، وطاقاتها المعلومة والمجهولة، إدراكه للأشياء، وطريقة إدراكها، وحفظها، وتذكرها.

---

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق ١/٥٩

وهذه المعلومات والصور والكلمات أين خزنت؟، وكيف انطبعت؟، وكيف تُستدعى فتجيء؟.
ومن ألف وجمع في المخ آلاف الآيات والأحاديث والكلمات والقصص والأشعار وغيرها .. ؟ ومن حفظها في الذهن كما يحفظ المال في الخزانة .. ؟

ثم أسراره في توالده وتكاثره، خلية واحدة تحمل كل رصيد الجنس البشري من الخصائص.

وكل فرد من هذا الإنسان عالم وحده، وطبعة خاصة لا تتكرر أبداً على مدى الدهور، ولا نظير له بين أبناء جنسه جميعاً، لا في شكله وملامحه، ولا في عقله ومداركه، ولا في روحه ومشاعره.

فكل فرد نموذج خاص، وطبعة فريدة لا تتكرر.". (١)

٣٣-"وجاء عنده فكر القيام بالأعمال وتكثيرها وتنويعها وتحسينها، لا فكر جمع الأموال والأشياء، ثم ظهرت شعب الإيمان في حياته.

وبسبب نور الإيمان **يتعلق القلب** بالخالق ولا يلتفت إلى المخلوق .. ويستأنس بالخالق ويستوحش من المخلوق .. ويرى الشيء على حقيقته .. النافع نافعاً .. والضار ضاراً .. والحسن حسناً .. والقبيح قبيحاً .. والكبير كبيراً .. والصغير صغيراً .. ويميز بين الباقي والفاني .. والرخيص والغالي.

وإذا عدم الإيمان أو ضعف رأى العكس، فرأى النافع ضاراً، ورأى الضار نافعاً وهكذا.

ومن لم يكن في قلبه نور الإيمان يرى العزة بالأموال والأشياء لا بالإيمان والأعمال الصالحة، وبذلك يحرم من الأعمال الصالحة، ويتعلق قلبه بالفانية، وتظهر شعب الكفر في حياته من الكبر والكذب والنفاق والظلم.

وجهد الدين يشتمل على أمرين:

جهد لمعرفة الإيمان والأعمال .. وجهد لنشر الإيمان والأعمال.

فالأول لمعرفة الإيمان والأحكام والمسائل والعمل بذلك كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)﴾ [التوبة: ١٢٢].

والثاني لنشر وإبلاغ هذا الدين لعموم الإنسانية كما قال سبحانه: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وحقيقة الإيمان التوجه إلى الله في جميع الأحوال، وعدم الالتفات إلى غيره، فنرى هذا المخلوق لا يفعل ونحن نراه .. والرب يفعل كل شيء ونحن لا نراه.

فالابتلاء للإنسان هنا التفات القلب إلى أين؟، والفاعل من؟، والذي بيده الأمر كله من؟، والذي لا يقع في ملكه شيء إلا بإذنه من؟.

(١) موسوعة فقه القلوب ٥٧٦/١

ولا إله إلا الله خطاب للقلوب لا للعقول، فعقول قريش موجودة، وفصاحتهم". (١)

٣٤-"والثانية: معرفة توجب الحياء من الله، والمحبة له، **وتعلق القلب** به، والشوق إليه، والأنس به، ومحبته، والإنابة إليه، والفرار من الخلق إليه.

وهذه أعلى المعارف وأعظمها، وتفاوت الخلق فيها لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه، وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم.

وكل يعبد الله ويطيعه ويتلذذ بذلك بحسب تلك المعرفة، وما كشف له منها، وقد قال أعرف الخلق به: «لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» أخرجه مسلم (١).

وأشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور في القلوب، وتفاوت أهلها في ذلك النور لا يحصيه إلا الله عزَّ وجلَّ.

فمن الناس من نور (لا إله إلا الله) في قلبه كالشمس .. ومنهم من نورها في قلبه كالقمر .. ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري .. ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم .. ومنهم من نورها في قلبه كالسراج المضيء .. وآخر كالسراج الضعيف .. وهكذا.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوب المؤمنين من نور هذه الكلمة.

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معه شبهة، ولا شهوة، ولا ذنباً إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده الذي لم يشرك بالله شيئاً.

فأي شبهة، أو شهوة أو ذنب أو معصية دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا عند غفلته، فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه استنقذه من سارقه، أو حصل أضعاف مكسبه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).". (٢)

٣٥-"﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)﴾ [محمد: ١٩].

والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله أمور:

أحدها: بل أعظمها التفكر في سنن الله وآياته الكونية، وآياته الشرعية، ثم تدبر أسماء الله وصفاته وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلاله، فذلك يوجب بذل الجهد في التأله والتعبد للرب الكامل الصفات.

---

(١) موسوعة فقه القلوب ٧٠٣/١

(٢) موسوعة فقه القلوب ١٠٩٦/٢

الثاني: العلم بأن الله هو المتفرد بالخلق والتدبير، ومنه يعلم أنه المستحق للعبادة، المتفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأن الله وحده هو المتفرد بهبة النعم الظاهرة والباطنة، المادية والروحية، الدنيوية والأخروية، فذلك يوجب **تعلق القلب** به، محبة ورغبة، وخوفاً ورهبة.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه، القائمين بتوحيده، من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين.

الخامس: معرفة الطواغيت التي فتنت الناس، وصرفتهم عن دين الله وكتبه ورسله، وأنها ناقصة باطلة من جميع الوجوه، لا تملك لنفسها ولا لعبَّادها نفعاً ولا ضراً.

السادس: أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعلماً، وهم الأنبياء والرسل والملائكة والعلماء الربانيون قد شهدوا بذلك كما قال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾ [آل عمران: ١٨].

وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

لها وزن وثقل .. ولها عظمة .. ولها قيمة .. ولها قوة.

قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «إن نبي الله نوحاً – صلى الله عليه وسلم – لما حضرته الوفاة، قال لابنه: «إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بـ (لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) فَإِنَّ". (١)

٣٦-"على ذلك .. وأن يصرف عنه الموانع والعوارض المضادة له .. وأن يهديه في الطريق نفسها هداية خاصة.

وأن يشهده المقصود في الطريق فيكون مطالعاً له في سيره.

وأن يشهده فقره وضرورته إلى هذه الهداية فوق كل ضرورة.

وأن يشهده الطريقين المنحرفين عن طريقها، وهما طريق أهل الغضب، الذين عدلوا عن اتباع الحق قصداً وعناداً بعد معرفته وهم اليهود، وطريق أهل الضلال الذين عدلوا عنها جهلاً وضلالاً بعد معرفتها وهم النصارى.

ثم يشهد جمع ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾ في طريق واحد، عليه جميع أنبياء الله ورسله وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين.

فهذا هو الجمع الذي عليه رسل الله وأتباعهم، فمن حصل له هذا الجمع فقد هدي إلى الصراط المستقيم: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠].

وأول ما **يتعلق القلب** بتوحيد الربوبية .. ثم يرتقي منه إلى توحيد الإلهية .. والله عزَّ وجلَّ يدعو عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر .. ويحتج عليهم به .. ويقررهم به .. ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية كما قال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧)﴾ [الزخرف: ٨٧].

---

(١) موسوعة فقه القلوب ٢/١١٠٠

فأين يُصرفون عن شهادة أن لا إله إلا الله، وعن عبادته وحده، وهم يشهدون أنه لا رب غيره، ولا خالق سواه.

فجميع الخلق مقهورون تحت قبضة الله، وما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابعه، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه، فالقلوب كلها بيده، وكلها مملوكة له، مكشوفة كغيرها له.

من يهده الله فلا مضل له .. ومن يضلل فلا هادي له .. يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، هذا فضله وعطاؤه .. وهذا عدله". (١)

٣٧-"بدَّ، عكس ما أمَّله منه، فلا بدَّ أن يُخذل من الجهة التي قدر أن يُنصر منها، ويُذم من حيث قدر أن يُحمد كما قال سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

فالمشرك يرجو بشركه النصر تارة .. والعز تارة .. والسعادة تارة .. والحمد تارة .. والثناء تارة .. وأنى له ذلك.

فصلاح القلب وسعادته وفلاحه في عبادة الله وحده، والاستعانة به وحده: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣)﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وهلاك القلب وشقاؤه، وضرره العاجل والآجل، في عبادة المخلوق والاستعانة به، فاحذر ذلك: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢)﴾ [الإسراء: ٢٢].

والله عزَّ وجلَّ غني كريم، عزيز رحيم، فهو محسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه من العبد، ولا لدفع مضرة.

بل رحمة منه وإحساناً ومحبة له، وهو سبحانه لم يخلق خلقه ليتكثر بهم من قلة، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا ينفعوه أو يدفعوا عنه أو يرزقوه: كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

وماذا يملك العبد الفقير حتى يعطي؟ .. وماذا يعلم من الخلق حتى يواسي غيره؟ .. وماذا يملك من العمر حتى يبقى؟.

إن العبد المخلوق لا يعلم مصلحتك حتى يعرفه الله تعالى إياها، ولا يقدر على تحصيلها لك حتى يقدره الله تعالى عليها، ولا يريد ذلك حتى يخلق الله فيه إرادة ومشيئة لذلك.

فعاد الأمر كله لمن ابتدأ منه، فهو الذي بيده الخير كله، واليه يرجع الأمر كله، **فتعلق القلب** بغيره ضرر محض لا منفعة فيه، وما يحصل بذلك من المنفعة فهو سبحانه الذي قدرها ويسرها وأوصلها إليك، وغالب الخلق إنما يريدون قضاء حوائجهم منك، وإن أضر ذلك بدينك ودنياك، فهم إنما يريدون قضاء". (٢)

---

(١) موسوعة فقه القلوب ١١٢٥/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب ١٢٩٤/٢

٣٨-"**وتعلق القلب** بالسمع والبصر، وارتباطه بهما، وتأثره بهما لا يخفى، لكن ما يدركه بحاسة السمع من العلم والهدى أعم وأشمل، وما يدركه بحاسة البصر أتم وأكمل.

فللسمع العموم والشمول، والإحاطة بالموجود والمعدوم، والحاضر والغائب، والحسي والمعنوي، وللبصر التمام والكمال.

وهذه الحواس الخمس لها أشباح وأرواح، وأرواحها حظ القلب ونصيبه منها.

فمن الناس من ليس لقلبه منها نصيب إلا كنصيب الحيوانات البهيمية منها، فهو بمنزلتها كما قال سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾ [الفرقان: ٤٤]

ولهذا نفى الله تبارك وتعالى عن الكفار السمع والبصر والعقل، لعدم انتفاعهم بها كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فهم يسمعون ويبصرون بالحواس الظاهرة، وبهما قامت عليهم الحجة، ولا يسمعون ولا يبصرون بالحواس الباطنة، التي هي سماع القلب، التي هي روح حاسة السمع، التي هي حظ القلب، ولو سمعوه من هذه الجهة، لحصلت لهم الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

وتعلق السمع الظاهر الحسي بالقلب، أشد من تعلق البصر به، وآثاره على قلب الإنسان أسرع وأشد، فربما غشي على الإنسان إذا سمع كلامًا يسره أو يسوؤه، أو صوتًا لذيذًا طيبًا مناسبًا، ولا يحصل له ذلك من رؤية الأشياء بالبصر الظاهر إلا نادرًا.

فإذا كان المسموع معنى شريفًا بصوت لذيذ، حصل للقلب حظه ونصيبه من إدراك المعنى، وابتهج به أتم ابتهاج على حسب إدراكه له، كما يحصل للقلب عند سماع آيات القرآن المرتلة.". (١)

٣٩-"ونظر الطبيب دائر على هذه الأصول الثلاثة.

وإذا عُرف هذا فالقلب محتاج إلى ما يحفظ عليه قوته .. وهو الإيمان والطاعات.

ومحتاج إلى حمية من الضار المؤذي .. وذلك باجتناب الآثام والمعاصي .. وأنواع المخالفات.

ومحتاج إلى استفراغه من كل مادة فاسدة تعرض له، وذلك بالتوبة النصوح ولزوم الاستغفار.

ومرض القلب: هو نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره للحق، وإرادته له، فلا يرى الحق حقًا، أو يراه خلاف ما هو عليه، أو ينقص إدراكه له، وتفسد به إرادته له.

فيبغض الحق النافع، أو يحب الباطل الضار، أو يجتمعان له وهو الغالب.

ولما كان البدن المريض، يؤذيه ما لا يؤذي الصحيح، من يسير الحر والبرد والحركة، فكذلك القلب إذا كان فيه مرض آذاه أدنى شيء من الشبهة أو الشهوة، وحتى لا يقوى على دفعها إذا وردا عليه.

---

(١) موسوعة فقه القلوب ١٣١١/٢

والقلب الصحيح يطرقه أضعاف ذلك فيدفعه بقوته وصحته.

وإذا أظلم القلب رأى المخلوق يفعل، وإذا استنار القلب بالإيمان رأى الفاعل الحقيقي هو الله وحده.

وبقدر قوة اليقين على عظمة الله، تكون قوة الإيمان، ثم تكون قوة الأعمال، ثم حصول البركات.

وأعظم أسباب مرض القلب هي:

الغفلة عن الله .. والغفلة عن أوامر الله .. والغفلة عن اليوم الآخر.

فالغفلة عن الله سببها قلة ذكره، **وتعلق القلب** بغيره من المحبوبات.

والغفلة عن أوامر الله سببها عدم الرغبة فيها، وإيثار الشهوات عليها، **وتعلق القلب** بالهوى والشيطان.". (١)

٤٠-"وجميل إحسانه وإنعامه، صار لقلبه عبودية أخرى، ومعرفة خاصة، وعلم أنه عبد من كل وجه، وبكل اعتبار.

وعلم أن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، والأمر كله بيده، والحمد كله له، وأزمة الأمور كلها بيده، ومرجعها كلها إليه.

وأعظم أسباب شرح الصدر التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢)﴾ [الزمر: ٢٢].

فالتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك من أعظم أسباب ضيق الصدر.

ومنها نور الإيمان الذي يقذفه الله في قلب العبد، فيشرح الصدر ويوسعه.

ومنها العلم، فإنه يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر، فكلما اتسع علم العبد بالله وأسمائه وصفاته ودينه وشرعه انشرح صدره واتسع.

ومنها الإنابة إلى الله سبحانه، ومحبته بكل القلب، والإقبال عليه، والتلذذ بعبادته، فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك.

وكلما كانت المحبة لله أقوى وأشد، كان الصدر أفسح وأشرح.

ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله تعالى .. **وتعلق القلب** بغيره .. والغفلة عن ذكره .. ومحبته سواه .. فإن من أحب غير الله عذب به .. وسجن قلبه في محبة ذلك الغير، فما في الأرض أشقى منه.

ومن أسباب شرح الصدر وشفاء القلب الإحسان إلى الخلق، ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه.

فالكريم المحسن أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم نفسًا، والبخيل أضيق الناس صدرًا، وأعظمهم همًا، وأنكدهم عيشًا.

ومن أسباب شرح الصدر دوام ذكر الله على كل حال، وفي كل موطن.". (٢)

٤١-"الثاني: معرفة توجب الحياء منه، والمحبة له، **وتعلق القلب** به، والشوق إلى لقائه، والإنابة إليه، وخشيته، والأنس به، والفرار من الخلق إليه، والتوكل عليه وحده، والناس فيها متفاوتون.

---

(١) موسوعة فقه القلوب ١٣٥١/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب ١٤٢٨/٢

ولهذه المعرفة بابان واسعان:

الأول: باب التفكر والتأمل في آيات القرآن، والفهم الخاص عن الله ورسوله.

الثاني: باب التفكر في آياته المشهودة وتأمل حكمة الله فيها، ومعرفة عظمته في بديع صنعها.

وجماع ذلك: الفقه في أسمائه وصفاته سبحانه، والفقه في أوامره ونواهيه، والفقه في قضائه وقدره، فمن أوتيه فليحمد الله بالعمل به، والدعوة إليه: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)﴾ [الجمعة: ٤].

ومن رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم الرسل بآيات تبين الحق وتظهره، وتوضح المشكل، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، يرى بها الإنسان كل شيء جليًا كما قال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾ [الأنعام: ١٠٤].

فيا أيها الإنسان .. عش ما شئت فإنك ميت .. وأحبب من شئت فإنك مفارقه .. واعمل ما شئت فإنك ملاقيه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

وكمال الإنسان لا بذاته، بل بإيمانه وعلمه وعمله، وأشرف العلوم وأجلّها وأكملها وأزكاها:

العلم بالله وأسمائه وصفاته .. والعلم بدينه وشرعه.

فالأول معرفة المعبود، والثاني معرفة ما يتقرب به العبد إلى المعبود، ولا بدَّ لكل عبد من هذا وهذا كل يوم.

الأول فيه غذاء قلبه وروحه، والثاني فيه عبودية بدنه وجوارحه.

وبذلك يكمل ظاهر الإنسان وباطنه، وسره وعلانيته، وقلبه وبدنه، ويسعد في". [١]

٤٢-"الكامل الذي له كل حمد ومجد، وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأن الله وحده المتفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المتفرد بالألوهية والعبودية.

الثالث: العلم بأن الله وحده هو المتفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب **تعلق القلب** به، ومحبته وعبادته وحده لا شريك له.

الرابع: العلم بنصره لأوليائه، وخذلان أعدائه، فإن ذلك يوجب التعلق به وطاعته، والحذر من معصيته، وإخلاص العبادة له.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك ولا يملك عابدوها نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة، ولا تجلب خيراً، ولا تدفع شراً.

فالعلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا الله، **وتعلق القلب** به، وبطلان ألوهية ما سواه.

وتدبر القرآن العظيم والتأمل في آياته هو الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد، ومعرفة الله بآياته ومخلوقاته، ومعرفة جلاله وجماله ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ [محمد: ٢٤].

---

(١) موسوعة فقه القلوب ٢/١٥٠٤

وكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله الإقبال على الطاعات، والانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ [فاطر: ٢٨].

والعلم بعظمة الله وكبريائه داع إلى خشيته، وأهل خشيته هم أهل كرامته كما قال سبحانه: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾ [البينة: ٨].

فأشرف العلوم وأزكاها، وأعلاها وأعظمها، العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.". (١)

٤٣-"٧ - فقه السير إلى الله

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾ [الأعراف: ١٥٨].

محبة الله تبارك وتعالى تلقي العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه.

والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده إليه.

فهذه محركات القلوب إلى الله:

المحبة .... والخوف .... والرجاء.

وأقواها المحبة، فإن لم يكن عنده محبة تبعثه على طلب محبوبه فعليه بكثرة ذكر الله؛ لأن كثرة ذكره **تعلق القلب** به، ومطالعة آلائه ونعمائه تبعثه على التوجه إليه والحياء منه.

وكذلك الخوف: تحركه مطالعة آيات الوعيد، ومعرفة عظمة الله، وهيبة جلاله وكبريائه، ومعرفة أهوال يوم القيامة.

وكذلك الرجاء: يحركه مطالعة حلم الله وعفوه وكرمه، ومعرفة آيات الوعد .. وهكذا.

وإذا تحركت القلوب إلى الله وسارت إليه اعتصمت به، وقلت آفاتها، أو ذهبت عنها بالكلية كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)﴾ [الرعد: ٢٨].

ولكن العبد إذا عزم على السفر إلى الله تعالى عرضت له الخوادع والقواطع.

فينخدع أولاً بالشهوات والرياسات والملاذ والمناكح ونحوها، فإن وقف معها انقطع عن ربه.". (٢)

٤٤-"وبقدر ذلك تكون المحبة، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.

وليس للعبد قطّ إحسان إلا من الله، ولا إساءة إلا من الشيطان، ومن أعظم منة الله على عبده هدايته، وتأهيله لمحبته

---

(١) موسوعة فقه القلوب ١٥١٠/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب ١٧٨٠/٢

ومعرفته، وإرادة وجهه، ومتابعة خليله.

وأصل هذا نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به بين الحق والباطل، وهذا النور متفاوت في قلوب المؤمنين.

وتثبت هذه المحبة باتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم – في أقواله وأعماله وأخلاقه، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها، وبحسب نقصانه يكون نقصانها.

وهذا الاتباع يوجب محبة الرب لعبده، ومحبة العبد لربه، وليس الشأن في أن تحب الله فقط، بل الشأن أن يحبك الله، والله لا يحبك إلا إذا اتبعت خليله – صلى الله عليه وسلم – ظاهراً وباطناً، وصدقت خبره، وأطعت أمره، وآثرته طوعاً.

الثانية: محبة تبعث على إيثار الحق على غيره، وتلهج اللسان بذكره، **وتعلق القلب** بشهوده، ويتم ذلك بمطالعة صفات الرب جلَّ جلاله، وشهود معاني أسمائه، والنظر في معاني آياته المسموعة، والنظر إلى آياته المشهودة في الأنفس والآفاق.

ولكمال هذه المحبة فإنها تقتضي من المحب أن يترك لأجل الحق ما سواه، فيؤثره على غيره، وإذا أحب الله عبداً أنشأ في قلبه محبته.

الثالثة: محبة خاطفة تخطف قلوب المحبين لما يبدو لهم من جمال محبوبهم، وهذه أعلى درجات المحبة.

والعقل والشرع والفطرة كلها تدعوا إلى محبته سبحانه، بل إلى توحيده في المحبة.

وقلب المحب دائماً في سفر لا ينقضي نحو محبوبه، وقوة تعلق المحب بمحبوبه توجب له أن لا يستقر قلبه دون الوصول إليه.". (١)

٤٥-"وقد وصف الله – عز وجل – عباد الرحمن بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم، فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ (١)، كما جمع الله – عز وجل – بين اللحظات والخطرات في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (٢).

المطلب الرابع: أصول المعاصي

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((أصول الخطايا كلها ثلاثة:

١ – الكِبْر: وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره.

٢ – الحِرْص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة.

٣ – الحَسَد: وهو الذي جرَّأ أحد ابني آدم على أخيه.

فمن وُقِيَ شر هذه الثلاثة فقد وُقِيَ الشر، فالكفر من الكِبْر، والمعاصي من الحِرص، والبغي والظلم من الحسَد)) (٣).

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها ثلاثة:

---

(١) موسوعة فقه القلوب ١٧٨٧/٢

١ – **تعلق القلب** بغير الله، وهو الشرك، فغاية التعلّق بغير الله شرك، وأن يُدعى معه إله آخر.

٢ – طاعة القوة الغضبية، وهي الظلم، وغاية ذلك القتل.

٣ – طاعة القوة الشهوانية، وهي الفواحش، وغاية ذلك الزنا.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٢) سورة غافر، الآية: ١٩.

(٣) الفوائد، ص١٠٥.". (١)

٤٦–"جوّالاً حول السفليات والقاذورات والرذائل، كما أن القلب الذي رفعه الله وقرَّبه إليه لا يزال جوالاً حول العرش، وأما مسخ القلب، فإن من القلوب ما يمسخ بسبب المعاصي كما تمسخ الصورة فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في أخلاقه، وأعماله، وطبيعته، فمن القلوب ما يمسخ على قلب خنزير، لشدة شبه صاحبه به، ومنها ما يمسخ على قلب كلب، أو حمار، أو حية، أو عقرب، ومن الناس من يكون على أخلاق السباع العادية، ومنهم من يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاووس في ريشه، ومنهم من يكون بليداً كالحمار، وغير ذلك (١).

١٨ – المعاصي تُنكّس القلب حتى يرى الباطل حقاً والحق باطلاً، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ويفسد ويرى أنه يصلح، ويشتري الضلالة بالهدى وهو يرى أنه على الهدى، وكل هذا من عقوبات الذنوب الجارية على القلب (٢).

١٩ – تُضَيِّق الصدر، فالذي يقع في الجرائم، ويُعرض عن طاعة الله يضيق صدره بحسب إعراضه، قال الله – عز وجل –: ﴿فَمَن يُرِدِ الله أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ الله الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣)، فمِنْ أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله تعالى، **وتعلق القلب** بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة ما سواه؛ فإن من أحبّ شيئاً غير الله عُذِّب به،

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص٢١٣ – ٢١٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢١٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.". (٢)

---

(١) نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة ص/٤٩

(٢) نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة ص/٦٨

٤٧-"* المسلك الرابع: أصول المعاصي:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((أصول الخطايا كلها ثلاثة:

١ – الكِبْر: وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره.

٢ – الحِرْص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة.

٣ – الحَسَد: وهو الذي جرَّأ أحد ابني آدم على أخيه.

فمن وُقِيَ شر هذه الثلاثة فقد وُقِيَ الشر، فالكفر من الكِبْر، والمعاصي من الحِرص، والبغي والظلم من الحسَد)) (١).

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها ثلاثة:

١ – **تعلق القلب** بغير الله، وهو الشرك، فغاية التعلّق بغير الله شرك، وأن يُدعى معه إله آخر.

٢ – طاعة القوة الغضبية، وهي الظلم، وغاية ذلك القتل.

٣ – طاعة القوة الشهوانية، وهي الفواحش، وغاية ذلك الزنا.

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الثلاثة في قوله – عز وجل –: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ (٢).

وهذه الثلاثة يدعو بعضها إلى بعض: فالشرك يدعو إلى الظلم

---

(١) الفوائد، ص١٠٥.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٦٨ – ٦٩.". (١)

٤٨-"الطاووس في ريشه، ومنهم من يكون بليداً كالحمار، وغير ذلك (١).

١٨ – المعاصي تُنكّس القلب حتى يرى الباطل حقاً والحق باطلاً، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ويفسد ويرى أنه يصلح، ويشتري الضلالة بالهدى وهو يرى أنه على الهدى، وكل هذا من عقوبات الذنوب الجارية على القلب (٢).

١٩ – تُضَيِّق الصدر، فالذي يقع في الجرائم، ويُعرض عن طاعة الله يضيق صدره بحسب إعراضه، قال الله – عز وجل –: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣)، فمِنْ أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله تعالى، **وتعلق القلب** بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة ما سواه؛ فإن من أحبّ شيئاً غير الله عُذِّب به، وسجن قلبه في محبته (٤).

الوجه الثاني: آثار المعاصي على الدين:

---

(١) نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة ص/٣٦٤

٢٠ [١] تزرع المعاصي أمثالها، ويولد بعضها بعضاً، حتى يصعب على العبد التخلص منها، كما قال بعض السلف: ((إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها)). وهكذا حتى تصير

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص٢١٣ – ٢١٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢١٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٤) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ٢/ ٢٥.". (١)

"كتاب الخوف والرجاء

وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتاب إحياء

علوم الدين بسم الله الرحمن الرحمن

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه إلى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر أعدائه وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض لأئمته والتهدف لسخطه ونقمته قوداً لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق واللطف إلى جنته والصلاة والسلام على محمد سيد أنبيائه وخير خليقته وعلى آله وأصحابه وعترته

أما بعد فإن الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ جَنَاحَانِ بِهِمَا يَطِيرُ الْمُقَرَّبُونَ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ مَحْمُودٍ وَمَطِيَّتَانِ بِهِمَا يَقْطَعُ مِنْ طرق الآخرة كل عقبة كسود فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إِلَّا أَزِمَّةُ الرَّجَاءِ وَلَا يَصُدُّ عَنْ نَارِ الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد إذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصيل إلى الجمع بينها مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشمل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف

الشطر الأول في الرجاء

أما الشطر الأول فيشتمل على

بيان حقيقة الرجاء

وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطرق الذي يجتلب به الرجاء بيان حقيقة الرجاء

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام وإنما يسمى حالاً إذا كان عارضاً سريع الزوال وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجل وإلى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب

---

(١) نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة ص/٣٨٣

وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضاً يتم من حال وعلم وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسماً من جملة الثلاثة وبيانه أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر في الاستقبال فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكراً وتذكراً وإن كان من خطر بقلبك موجوداً في الحال سمي وجداً وذوقاً وإدراكاً وإنما سمي وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظار وتوقعا فإن كان المنظر مكروهاً حصل منه ألم في القلب سمي خوفاً وإشفاقاً وإن كان محبوباً حصل من انتظاره **وتعلق القلب** به وإخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك." (١)

"وَاعْلَم ان الواثق بِاللَّه نفى عَن قلبه التُّهْمَة لله وان كنت فِي ظلّ سَبَب فَلَا يميلن قَلْبك الى السَّبَب وليكن قَلْبك مَعَ الله عز وَجل

وَاعْلَم ان القهرمان لَا ينْفق الا بِإِذن السَّيِّد فاعقد قَلْبك لسيدك لانه ان اعطاك لم يقدر اهل الارض ان يمنعوك وان مَنعك لم يقدر اهل الارض ان يعطوك لَان سُلْطَانه عَظِيم وبتوكلك عَلَيْهِ يَكْفِيك

فالمتوكل سَاكن الْقلب الى الْمَضْمُون فَمن قطع **تعلق الْقلب** بالاسباب لم ير شَيْئا الا الله لَان قدر الله جَار على المتَوَكل وَغَيره الا تسمع الى قَوْله تَعَالَى ﴿وكأين من دَابَّة لَا تحمل رزقها الله يرزقها وَإِيَّاكُم وَهُوَ السَّمِيع الْعَلِيم﴾

وَقد علم المتَوَكل علما يَقِينا وَسكن قلبه الى ذَلِك ان مَا قسم لَهُ وَقدر لَو كَانَ فِي مهب الرّيح لأدركه وان مَا لم يقسم لَهُ وَلم يقدر لَو كَانَ بَين يَدَيْهِ وَجهد اهل السَّمَوَات والارض ان يوصلوا اليه مثل ذرة أَوْ خردلة لم يقدروا على ذَلِك وَقد قَالَ ﴿وَلَا تقتلُوا أَوْلَادكُم خشيَة إملاق نَحن نرزقهم وَإِيَّاكُم﴾ وَقَالَ ﴿وعَلى الله فتوكلوا إِن كُنْتُم مُؤمنين﴾ فَلم يحِق لَهُم ايمانا الا بتوكلهم عَلَيْهِ

وَقَالُوا ﴿على الله توكلنا﴾ وَقَالُوا ﴿وَمَا لنا أَلا نتوكل على الله وَقد هدَانَا سبلنا﴾." (٢)

"التمرين الثالث: التدريب استقامة القلب:

لكي نستعد لرمضان لا بد من استقامة القلب، بأن يكون اللهُ أحبَّ إلينا من كل شيء، فنقدم محبته على كل شيء، وأن نعظم أمره ونهيه؛ لأن تعظيم الأوامر والنواهي من تعظيم الآمر الناهي، وأن نقوم بعملية تطهير ظاهري وباطني.

ويكون ذلك بأمور منها:

١ – التعلق بالله:

أن **يتعلق القلب** بالله وحده، وإنَّ من أكبر عوامل فساد القلب التعلق بالأسباب، لا تظن أنك بهذه الأسباب وحدها ستوفق لطاعة الله؛ بل لا بد من عون من الله لك، لا بد أن يتعلق قلبك بالله، فأنت لا حول لك ولا قوة، والحول والقوة

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/١٤٢

(٢) آداب النفوس للمحاسبي الحارث المحاسبي ص/١٩٧

لله وحده، ومن أخطر نتائج التعلق بالأسباب أن يحول الله بينك وبين قلبك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

لا بد لك من شوق محرق يأخذ بيدك إلى ربك، ولا يحصل لك ذلك إلا بأن تطالع أسماء الله وصفاته، وتشاهد منن الله عليك وفضله السابغ، وتطالع جنايتك فتتحسر على فوات الزمان في غير طاعة الله، فتتشوق لاستدراك الفائت، وتهفو نفسك إلى عمل صالح يكفر ما قد كان من فعالك، تذكر سبق السابقين وأنت لازلت قابع في شهواتك، تذكر يوم الوعيد وأنت تأكل يديك حسرةً وأهل الإيمان في الفردوس الأعلى قد تناءوا عن أمثالك.." (١)

"وهذه الآثار والطبوع التي تحصل فيه: منها ما يكون سريع الحصول سريع الزوال ، ومنها ما يكون بطيء الحصول سريه الزوال ، ومنها ما يكون بطيء الحصول بطيء الزوال.

ولكن من الناس من يكون توحيده كبيرا عظيما ، ينغمر فيه كثير من تلك الآثار ، ويستحيل فيه بمنزلة الماء الكثير الذي يخالطه أدنى نجاسة أو وسخ ، فيغتر به صاحب التوحيد الذي هو دونه فيخلط توحيده الضعيف بما خلط به صاحب التوحيد العظيم الكثير توحيده ، فيظهر من تأثيره فيه ما لم يظهر في التوحيد الكثير.

وأيضا فان المحل الذي لم يبلغ في الصفاء مبلغه ، فيتداركه بالازالة دون هذا ، فانه لا يشعر به.

وأيضا فان قوة الايمان والتوحيد اذا كانت قوية جدا أحالت المواد الرديئة وقهرتها ، بخلاف القوة الضعيفة ".

فانظر – رحمك الله – إلى توحيدك: هل ما زال على صفائه وطهارته ونقائه أم أنه تلوث من مخالطة البشر ومعاملاتهم ، وغياب العلم عن القلب ، ونسيان الذكر وكثرة الكلام والجدال المقيت وحب العلو والغلبة ، **وتعلق القلب** بمدح الناس ودفع ذمهم ، والشهوات المركبة في." (٢)

"هذا المصدر الواحد ، يستمد منه وحده ، ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروته ، ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره ، ويخدم سيدا واحدا يعرف ماذا يرضيه فيفعله وماذا يغضبه فيتقيه .. وبذلك تتجمع طاقته وتتوحد ، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى اله واحد في السماء .. ويعقب – سبحانه – على هذا المثل الناطق الحى ، بالحمد لله الذي اختار لعباده الراحة والامن والطمأنينة والاستقامة والاستقرار. وهم مع هذا ينحرفون ، وأكثرهم لا يعلمون ".

فهل أنت لواحد؟ أم انك لشركاء متشاكسين؟!.

نعم: ان أكثر الناس اليوم منحرفون عن التوحيد ،ويعيشون في شتات ، فتجد قلوبهم معلقة بالمال والزوجة والولد والبشر ، فيعيشون مهمومين محزونين مشتتين مضيعين .. ولا يمكن أن **يتعلق القلب** بالله وحده الا بأن يكون في قلبك هم واحد: هو طلب رضا الله والاستعانة به ، فهمّك وهمتك وتفكيرك دائر في تحصيل رضا الله ، ساعتها تكون عبدا لله وحده .. تكون واحدا لواحد بحق ، ومنها تنطلق على طريق الوصول إلى الله – تعالى.

---

(١) أسرار المحبين في رمضان محمد حسين يعقوب ص/٦٠

(٢) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/٨١

على طريق واحد:

اذا كنت واحدا لواحد فلكى تصل لابد من أن يكون لك طريق واحد إلى الله – تعالى – فهما توحيدان: توحيد القصد وتوحيد المعبود.." (١)

"الاستسلام .. أن تكون مع الله بادىء الرأى ، قال الملك: " يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله " (الحجرات: ١).

أحد الناس كان مستجاب الدعوة ، وكان عليه دين فقال له ابنه: هلا دعوت الله أن يقضى دينك ، فرفع يديه الى السماء ، وقال: اللهم اغفر لى وتب علىّ ، فقال له ابنه: يا ابت ، ادع الله بقضاء الدين ، فقال: " يا بنى إذا غفر ذنبى قضى دينى " ، اللهم اغفر ذنوبنا ، واقض ديوننا .. هذه هى القضية: **تعلق القلب** بالله .. " إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت " .. فأسلموا – إخوتاه – فمفتاح الدخول على الله إسلام القلب لله.

كثير من الشباب الذين يرجعون عن كلامهم فيتركون طريق الوصول الى الله ، إنما رجعوا وتركوا الطريق ، لأن قلوبهم لم تسلم بعد .. قلبه لا يزال مشغولا بالبنات .. بالدنيا .. بالهموم .. المال .. بالزواج .. باللعب .. بالفسح .. بالتنزه .. باللبس .. لكن إذا أسلم القلب لله ، أصبح أحب شيء إليه طاعة الله.

إن الشباب إذا التزم وكان لا يزال فى قلبه هوى – نعوذ بالله تعالى من الهوى – فلابد أن يقع فى المعاصى مرة أخرى.

قيل لابن الجوزى: ما بالنا إذا ملأنا الكذنب لا يبرد ، وإذا أنقصناه يبرد ، قال: " لتعلموا أن الهوى لا يدخل الا على ناقص " .. فلا تكن ناقصا ، كن ممتلىء القلب بالايمان حتى لا يدخل عليك الهوى ، زد فى إيمانك ليسلم قلبك لله .. فمفتاح الدخول على الله إسلام القلب لله وسلامته له .. اللهم ارزقنا قلوبا سليمة يا رب.." (٢)

"والمتأمل لتوجيهات الشرع يجد أنها تحثنا وتساعدنا على تهيئة الأجواء المناسبة للتفاعل القلبي مع العبادات ومن ثم زيادة الإيمان من خلالها، فعلى سبيل المثال: الصلاة .. نجد أن الشرع يحثنا على تفريغ الذهن من الشواغل وعدم **تعلق القلب** بشيء من شأنه أن يمنعنا من التركيز فيها، فإذا حضر الطعام مع دخول وقت الصلاة يفضل البدء بالطعام حتى يدخل المرء إلى الصلاة وذهنه غير مشغول به.

وكذلك عند مدافعة الأخبثين .. قال صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة بحضرة الطعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان» (١).

ولا ينبغي للمرء أن يُسرع في خطواته إلى المسجد ليدرك الصلاة، بل عليه أن يمشي في سكينة وهدوء، فالإسراع من شأنه أن يجعله يذهب إلى الصلاة وهو مضطرب فيصعب عليه جمع قلبه ..

والحث على التبكير في الذهاب للمسجد قبل إقامة الصلاة له دور مهم في صرف شواغل الدنيا عن الذهن ..

وكذلك فإن الحث على تذكر الموت قبل الصلاة من شأنه أن يستجيش المشاعر نحو الرجاء والطمع في عفو الله والخوف والرهبة من عقوبته ..

---

(١) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/٨٣

(٢) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/٢٢٤

كل ذلك وغيره يهيئ المسلم للاستفادة من الصلاة وما فيها من قراءةٍ للقرآن، وذكر، ودعاء في تحقيق هدفها بزيادة الإيمان وتحسين السلوك ..

غياب الرؤية:

عندما تغيب هذه الرؤية ويصبح الهدف هو أداة العبادة، بأي شكلٍ كانت، فإن ثمرة العبادة لا تكاد تظهر للوجود، ومن ثمَّ يظل العبد في مكانه؛ فلا يتقدّم في مضمار سباق السائرين إلى الله، ولا يجد حلاوة الإيمان، ولا يشعر بتحسن ملحوظ في سلوكه، لتكون النتيجة: إنسانًا ذو شخصيتين متناقضتين؛ فقد تجده كثير الصلاة والصيام والحج والاعتمار، ومع ذلك تجده لا يؤدي الأمانة، ولا يتحرى الصدق، ويسيء معاملة الآخرين، ويحسدهم على كل خير يبلغهم .. يصاب بالهلع والفزع إذا ما تعرَّضت أمواله وممتلكاته أو دنياه لمكروه ...

هذه المظاهر السلبية وغيرها تدل على أن صاحبها لم يَسْتَفِد من عباداته، ولم يتحسن إيمانه من خلالها، وبالتالي لم ينتج منها الأثر الصحيح الذي من شأنه أن يصلح السلوك والمعاملات ..

وتأكيدًا لهذا التشخيص، لك أخي القارئ أن تتأمل قوله صلى الله عليه وسلم: «رُبَّ قائم حظه من قيامه السهر، ورُبَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش» (٢) ..

وكذلك قوله «واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» (٣).

وقوله «ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار»، قالوا: يا رسول الله مصلين؟ قال: «نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عُرِض عليهم شيء من الحرام وثبوا عليه» (٤).

فالمقصد من العبادة ليس فقط أداؤها من الناحية الشكلية، بل المهم والأهم هو أداؤها بطريقة تحقق هدفها؛ فإراقة دماء الهَدْي في الحج على سبيل المثال ليست مقصودة لذاتها، بل المقصود هو زيادة الإيمان والتقوى من خلال أداء هذه الشعيرة ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

إحسان العمل أولًا:

من هنا نقول بأنه ينبغي علينا أن نهتم بتحسين العمل ليتحقق من خلاله مقصود العبادة، ويزداد الإيمان في القلب ..

وفي هذا المعنى يقول الحافظ بن رجب:

كان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون الإكثار منه، فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان، أفضل من الكثير مع الغفلة وعدم الإتقان.

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٩٣، رقم ٥٦٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٣، رقم ٨٨٤٣)، والحاكم (١/ ٥٩٦، رقم ١٥٧١)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٨٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥١٧، رقم ٣٤٧٩)، والحاكم (١/ ٦٧٠، رقم ١٨١٧) السلسلة الصحيحة (٥٩٤).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٧٨).." (١)

"إرشادات عامة تُراعى عند الرقية:

١- ... كون الراقي والمرقي على طهارة تامة من الحدثَيْن الأكبر والأصغر.

٢- ... استقبال الراقي القبلة.

٣- ... لزوم تدبُّرِ الراقي والمرقي لنصوص الرقية، أثناء القراءة؛ فلا يقولها الراقي دون تفكُّرٍ بمعانيها، ولا يستمعها المرقيُّ إلا وقد اجتهد في تدبُّرها، واستحضر كلاهما **تعلق القلب** بعظيم قدرة الله تعالى، وحسن الاستعانة به سبحانه.

٤- ... النَّفْث في أثناء القراءة وبعدها، ولا بأس بتركه.

٥- ... استحسان وضع اليد اليمنى - في أثناء القراءة - على الناصية أو على موضع." (٢)

"" دعوه فلو قدر أو قال لو قضى أن يكون كان " (١) فانظر إلى **تعلق القلب** بالله، والرضا بقدره، وسكون القلب تحت مجارى الأقدار.

ولهذا انتبهوا فهذا أول درجات علو الهمة، " نهي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يرجل الرجل شعره إلا غبًا ". (٢)

إخوتاه ..

لا تكونوا كهؤلاء الذين لا يهتمون إلا بالتلاوم والتعاتب، فإنَّ هذا مضيعة للوئام بين الأنام.

قال معاذ بن جبل: إذا كان لك أخ في الله فلا تماره.

ثانياً: أبعد الحاجز الضبابي عن عين المخطئ.

المخطئ ـ أحيانا ـ لا يشعر بأنَّه مخطئ، فغالباً لا أحد يحب الخطأ، ولا يحب أن يخطئ، ومن كان هذا وصفه فمن العسير أن توجه له لوما مباشراً وعتاباً قاسياً، وهو يرى أنَّه مصيب.

فلابد أن يشعر أنَّه أخطأ حتى يبحث عن الصواب، فينبغي أن تتوخى ـ بدايةً ـ أن تزيل عنه الغشاوة ليبصر الخطأ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٣١) وابن حبان في صحيحه (١٦/ ١٤٥) برقم (٧١٧٩)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين وصححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الجامع (٥٢٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٧٦٥) ك اللباس عن رسول الله، باب ما جاء في النهي عن الترجل إلا غباً، وقال: حسن صحيح،

---

(١) أياما معدودات مجدي الهلالي ص/٥

(٢) ارق نفسك وأهلك بنفسك خالد الجريسي ص/٣٩

والنسائي (٥٠٥٥) ك الزينة، باب الترجل غباً والإمام أحمد (٤/ ٨٦)، وأبو داود (٤١٥٩) ك الترجل وصححه الشيخ الألباني - رحمه الله - في الصحيحة (٥٠١)، وصحيح الجامع (٦٨٧٠).." [١]

"في كونها اضر فتنة بعد الرسول على الرجال لانها تحرق معنى العبودية في قلب صاحبها.

وذلك ما بينه شيخ الاسلام ابن تيمية اذ يقول:

" النظر يؤكد المحبة فيكون علاقة **لتعلق القلب** بالمحبوب ثم صبابة لانصباب القلب اليه ثم غراما للزومه للقلب كالغريم الملازم لغريمه ثم عشقا الى ان يكون تتيما والمتيم العبد وتيم الله عبد الله فيقي القلب عبدا لمن لا يصلح ان يكون اخا بل ولا خادما وهذا انما يبتلى به اهل الاعراض عن الاخلاص لله ويتبع صوم العين صوم اللسان عن فضول الكلام وايثار الصمت لسد المداخل

امساك فضول الكلام واستبداله بالصمت

والكلام الذي لا يبنى عليه عمل ولا تقوم به مصلحة هو من فضول الكلام الذي لا يسمن ولا يغني من جوع وهو بذلك مضيعة للوقت او كما يراه الامام ابن القيم اشد من الموت" اضاعة الوقت اشد من الموت لأن اضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الاخرة والموت يقطعك عن الدنيا واهلها"

والخوض بالكلام الذي لا يفيد انما هو مدخل من مداخل ابليس قد تصل بصاحبها الى درجة الضلال ورب كلمة يتلفظ بها المرء لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد مما بين المغرب والمشرق وذلك ما رواه مسلم"

وان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب"

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الرعيل الاول هذا المدخل الشيطاني لئلا يقعوا في شباكه فيهوون في النار فمما ذكره لهم " ان رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان وان الله قال: من ذا الذي يتألى علي ان لا." [٢]

"أمَّا الأصل الأول: فهو تحقيقُ العبادة لله وتَمام الانكسار بين يديه، والخضوع له واعترافه بأنَّه مخلوق لله مَملوكٌ له هو وآباؤه وأمهاتُه، ابتداء من أبويه القريبين وانتهاء إلى آدم وحواء، ولهذا قال: "اللَّهمَّ إنِّي عبدُك وابنُ عبدك وابنُ أَمَتِك" فالكلُّ مماليك لله، وهو خالقُهم وربُّهم وسيِّدُهم ومدَبِّر شؤونهم، الذي لا غنى لهم عنه طرفة عين، وليس لهم من يعوذون به ويلوذون به سواه، ومن تحقيق ذلك التزام العبد عبوديته سبحانه من الذُّلِّ والخضوع والانكسار والإنابة وامتثال الأوامر واجتناب النواهي ودوام الافتقار إليه واللَّجأ إليه والاستعانة به والتوكل عليه والاستعاذة به، وأن لا **يتعلَّق القلبُ** بغيره محبَّةً وخوفاً ورجاءً.

وأمَّا الأصل الثاني: فهو أن يؤمن العبدُ بقضاء الله وقَدَره، وأنَّ ما شاء الله كان وما لَم يشأ لَم." [٣]

---

(١) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/٢٢٦

(٢) البيان في مداخل الشيطان عبد الحميد البلالي ص/١٥٥

(٣) التبيين لدعوات المرضى والمصابين عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٤٧

"وينبغي أن نشير إلى أنه بالرغم من الانتقادات الشديدة التي وجهها ابن تيمية إلى الغزالي فإنه كان يقدر تماما أهمية إنتاجه الضخم ومقدار فضله عليه. وكان يشير في كثير من الأحيان إلى ما ورد في "الإحياء"، و"كيمياء السعادة"، و"التفرقة" و"المستظهر"، و"المقاصد"، و"المستصفى"، و"الرد على الباطنية" ويستخدم ذلك في كتاباته. وكان الغزالي أول من تلقى منه ابن تيمية تاريخ الفرق الإسلامية والفلسفة وكان حجته في الجدل الكلامي في مناسبات عديدة ...كما اقتبس منه كل مصطلحات المنطق التي استخدمها ... وتمييزه بين التصديق والقصور ومنطقة في المفهوم وفي الحكم وفي الاستنباط الفقهي "المرجع السابق: ٢٢٠".

الغزالي والتربية:

جاءت آراء الغزالي في التربية انعكاسا لآرائه الفلسفية الصوفية. من ذلك أنه رأى أن الهدف من التربية هو مساعدة الفرد على التقرب إلى الله والعمل للحياة الآخرة. كما دعا إلى الأخذ بأساليب الخشونة والتقشف والبعد عن ملذات الحياة حتى تلك التي أحلها الله من جميل اللباس وطيب الطعام ومتعة الحياة. وقد تناول الغزالي موضوع التربية بفكر واضح يبدو فيه تأثره بأفلاطون وأرسطو ففي كلامه عن الفضيلة مثلا يقول: إنها الاعتدال والتوسط بين أركان النفس الأربعة وقواها، وهي:

- قوة الغضب واعتدالها الشجاعة.
- قوة الشهوة واعتدالها العفة.
- قوة الحكمة والإفراط فيها مضر.
- قوة العدل والإفراط فيها أيضا مضر.

وفي كلامه عن القلب يخلط بينه وبين النفس والعقل ويقول عنه: "إنه لطيفة ربانية روحانية لها **تعلق القلب** وهذه اللطيفة هي حقيقة الإنسان لأنه الجزء المدرك فيه". وفي كلامه عن العقل يقول عنه: "إنه القلب نفسه أو تلك اللطيفة الربانية" ويقول عنه أيضا: إنه صفة القلب لأنه جاء من النفس الناطقة، التي." (١)

"بَاب الرجاء قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَد الأَهْوَازِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبِيدٍ الصَّفَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ الثَّقَفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَلاءُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ فَرَأَيْتُ عِنْدَهُ شَهْرَ بْنَ حَوْشَبٍ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ قُلْتُ لِشَهْرٍ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ تَعَالَى زَوِّدْنِي زَوَّدَكَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ نَعَمْ حَدَّثَتْنِي عَمَّتِي أُمُّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ: قَالَ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدِي مَا عَبَدْتَنِي وَرَجَوْتَنِي وَلَمْ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَوِ اسْتَقْبَلْتَنِي بِمِلْءِ الأَرْضِ خَطَايَا وَذُنُوبًا اسْتَقْبَلْتُكَ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً فَأَغْفِرُ لَكَ وَلا أُبَالِي "

أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْفَزَارِيُّ ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سُفْيَانَ طَرِيفُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ شَعِيرٍ مِنْ إِيمَانٍ ثُمَّ يَقُولُ: أَخْرِجُوا

---

(١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية محمد منير مرسي ص/٣٦٢

مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ثُمَّ يَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي لا أَجْعَلُ مَنْ آمَنَ بِي سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ كَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِي

الرجاء **تعلق القلب** بمحجوب سيحصل فِي المستقبل.

وكما أَن الخوف يقع فِي مستقبل الزَّمَان فَكَذَلِكَ الرجاء يحصل لما يؤمل فِي الاستقبال وبالرجاء عيش القلوب واستقلالها." (١)

"بينما أنا أسير فِي البادية وإذا بهاتف يهتف فالتفت إِلَيْهِ فَإِذَا أعرابي يسير فَقَالَ لِي: يا إِبْرَاهِيم التوكل عندنا أقم عندنا حَتَّى يصح توكلك ألم تعلم أَن رجاءك لدخول بلد فِيهِ أطعمة يحملك أقطع رجاءك عَنِ البلدان وتوكل.

وسمعته يَقُول: سمعت مُحَمَّد بْن أَحْمَد الفارسي يَقُول: سمعت ابْن عَطَاء وسئل عَن حقيقة التوكل فَقَالَ: أَن لا يظهر فيك انزعاج إِلَى الأسباب مَعَ شدة فاقتك إِلَيْهَا ولا تزول عَن حقيقة السكون إِلَى الحق مَعَ وقوفك عَلَيْهَا.

سمعت أبا حاتم السجستاني يَقُول: سمعت أبا نصر السراج يَقُول: شرط التوكل مَا قاله أَبُو تراب النخشبي وَهُوَ طرح البدن فِي العبودية **وتعلق القلب** بالربوبية والطمأنينة إِلَى الكفاية فَإِن أعطي شكر وإن منع صبر وكما قَالَ ذو النون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وإنما يقوى العبد عَلَى التوكل إِذَا علم أَن اللَّه سبحانه يعلم ويرى مَا هُوَ فِيهِ.

سمعت مُحَمَّد بْن الْحُسَيْن يَقُول: سمعت أبا الفرج الورثاني يَقُول: سمعت أَحْمَد بْن مُحَمَّد القرمسيني يَقُول: سمعت الكتاني يَقُول: سمعت أبا جَعْفَر بْن الفرج يَقُول: رأيت رجلا يعرف بجمل عَائِشَة من الشطار يضرب بالسياط فَقُلْتُ لَهُ: أي وقت يَكُون ألم الضرب عليكم أسهل؟ فَقَالَ: إِذَا كَانَ من ضربنا لأجله يرانا.

وسمعته يَقُول: سمعت عَبْد اللَّهِ بْن مُحَمَّد يَقُول: قَالَ الْحُسَيْن بْن مَنْصُور لإبراهيم الخواص ماذا صنعت فِي هذه الأسفار وقطع هذه المفاوزة قَالَ: بقيت فِي التوكل أصحح نفسي عَلَيْهِ فَقَالَ: الْحُسَيْن أفنيت عمرك فِي عمران باطنك فأين الفناء فِي التوحيد؟ سمعت أبا حاتم السجستاني يَقُول: سمعت أبا نصر السراج يَقُول: التوكل مَا قاله أَبُو بَكْر الدقاق وَهُوَ رد العيش إِلَى يَوْم واحد وإسقاط هُمْ غد ، قَالَ: وَهُوَ كَمَا قَالَ سهل بْن عَبْد اللَّهِ: التوكل الاسترسال مَعَ اللَّه تَعَالَى عَلَى مَا يريد.." (٢)

"وبعد، فهذا أوان الشروع بإيراد هذه الرقى المباركة، مقدِّمًا لها بذكر إرشادات عامة، يُستحسن العمل بها عند الرَّقْي ليعظم النفعُ، ويتحقق الشفاء بإذن الله تعالى، متضرّعًا إليه سبحانه أن ينفعني ووالديَّ وأُمَّةَ سيِّدِنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم بهذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي

إرشادات عامة تُراعى عند الرقية:

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٢٥٩/١

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٣٠٠/١

١- ... كون الراقي والمَرْقي على طهارة تامة.

٢- ... استقبال الراقي القبلة.

٣- ... لزوم تدبُّرِ الراقي والمَرْقي لنصوص الرقية، فلا يقولها الراقي دون تفكُّرٍ بمعانيها، ولا يستمعها المرقيُّ إلا وقد اجتهد في تدبُّرها، واستحضر كلاهما الخشوع في أثناء الرقية **بتعلق القلب** بعظيم قدرة الله تعالى، وحسن الاستعانة به سبحانه.

٤- ... النَّفْث - وهو نفخ لطيف مع بعض ريقٍ - في أثناء القراءة وبعدها، ولا بأس بتركه.

٥- ... استحسان وضع اليد في أثناء القراءة على الناصية أو على موضع الألم، مع ملاحظة عدم جواز مسِّ النساء من غير المحارم.

٦- ... إن لاحظ الراقي تأثر المريض ببعض الآيات في أثناء الرقية، فلا بأس بتكرارها ثلاثاً، أو خمسًا، أو سبع مرارٍ، حَسَب الحاجة وملاحظة درجة الاستجابة.." (١)

"[الخطبة السابعة في حكم استماع آلات اللهو]

الخطبة السابعة

في حكم استماع آلات اللهو الحمد لله الذي خلق الخلق ليعبدوه وأدر عليهم النعم والأرزاق ليشكروه وأمرهم بحماية أعمارهم وحفظ أوقاتهم أن يضيعوها سدى ليستفيدوا من حياتهم ويفوزوا بالربح والفلاح حين يلاقوه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحكمة في خلقه وشرعه وله الحكم المطلق بين خلقه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل النبيين وإمام المتقين وسيد أولي العزم من المرسلين الذي بعثه الله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين وحجة على العباد أجمعين فبين للعباد طرق سيرهم إلى الله ونظم لهم شؤونهم وأعمالهم في هذه الدنيا وبعد الممات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليما.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وإنما خلقتم لأمر عظيم وهيئتم للقيام بعمل جليل جسيم خلقتم لعبادة الله والامتثال لأوامره والانزجار عن نواهيه لقد أمركم الله تعالى بكل ما يقوم هذه العبادة ونهاكم عن كل ما يصدكم عن ذكر الله وعن طريق السعادة ألا وإن في مجتمعكم مشكلة تصد عن ذكر الله وتوجب للعبد الغفلة عن طاعة الله لا أقول إنها مشكلة علمية لأن الكثير يعرف حكمها ولكن المشكلة فيها هو العمل والتنفيذ ألا أنبئكم ما هي المشكلة؟ هي مشكلة الإصرار على اللهو من الاستماع إلى آلات الطرب والغناء المحرم التي أصبح كثير من الناس عاكفا عليها حتى أشغلته عن كثير مما يهمه ويعنيه في دينه ودنياه فكان في ذلك ضياع للوقت ونفاد للمال وإصرار على المعصية **وتعلق القلب** بغير الله ولا أدري أيها الإخوان ما شأن المصرين عليها هل هم في شك في تحريمها أم عندهم ضعف في إيمانهم وعزيمتهم أم هم رأوا الأسباب المقتضية لها فظنوا أنه لا بأس بها وصدق قول القائل مع كثرة الإمساس نقل الإحساس فمن كان في شك في تحريمها فليستمع إلى بعض النصوص الواردة فيها فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ

---

(١) الرقية الشرعية خالد الجريسي ص/٦

الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: ٦] أكثر المفسرين على أن المراد بذلك اللهو الغناء قال ابن مسعود –رضي الله عنه–: والله الذي لا إله غيره إن ذلك هو الغناء وكررها ثلاث مرات وتفسير الصحابة حجة لأنهم أعلم الناس بالقرآن لفظا ومعنى حتى قال بعض العلماء أنه في حكم المرفوع وفي صحيح." (١)

"يَجُرُّ بَعْضَهُ إلَى بَعْضٍ إلَى أَنْ لَا يَفِيَ الْحَلَالَ فَيَقْدَمُ الشُّبُهَاتِ وَيَتْبَعُهُ أَنْ يُصَانِعَ النَّاسَ بِالرِّيَاءِ وَالْمُدَاهَنَةِ وَالْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ الثَّالِثَةُ أَنَّهُ يُلْهِيهِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ خُسْرَانٌ عَظِيمٌ وَإِمَّا دُنْيَوِيَّةٌ كَالْخَوْفِ وَالْحُزْنِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالتَّعَبِ فِي دَفْعِ الْحُسَّادِ وَتَجَشُّمِ الْمَصَاعِبِ فِي حِفْظِ الْأَمْوَالِ فَإِذَنْ تِرْيَاقُ الْمَالِ أَخْذُ الْقُوتِ مِنْهُ وَصَرْفُ الْبَاقِي إلَى الْخَيْرَاتِ وَمَا عَدَاهُ سُمُومٌ وَآفَاتٌ وَإِلَى بَعْضِ مَا ذُكِرَ يُشِيرُ قَوْلُهُ (اعْلَمْ أَنَّ الْحُزْنَ إذَا أَخْرَجَ صَاحِبَهُ مِنْ الصَّبْرِ إلَى الْجَزَعِ) وَالشَّكْوَى (وَ) أَنَّ (الْفَرَحَ) إذَا أَخْرَجَ صَاحِبَهُ (مِنْ الشُّكْرِ إلَى الطُّغْيَانِ وَالْبَطَرِ) أَيْ الْكِبْرِ أَوْ الْأَشَرِ (فَحَرَامَانِ) قِيلَ مِنْ الْكَبَائِرِ لِلْوَعِيدِ الشَّدِيدِ (وَإِلَّا) وَإِنْ لَمْ يُخْرِجَا (فَلَا) بَلْ مَذْمُومَانِ وَمَكْرُوهَانِ تَنْزِيهًا (وَلَكِنَّ الْكَمَالَ اسْتِوَاءُ إتْيَانِ الدُّنْيَا وَفَوَاتِهَا) لِعَدَمِ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمَشَايِخِ أَنَّهُ أُخْبِرَ إلَيْهِ بِعَطَايَا كَثِيرَةٍ فَحَمِدَ ثُمَّ أُخْبِرَ أَنَّ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ أَخَذُوهَا فَحَمِدَ أَيْضًا فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ الْأَوَّلُ لِعَدَمِ وِجْدَانِي فِي قَلْبِي سُرُورًا مِنْهَا وَالثَّانِي لِعَدَمِ وِجْدَانِي حُزْنًا مَا.

(وَهُوَ مَقَامُ التَّسْلِيمِ) قِيلَ هُوَ انْقِيَادُ إظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ (وَالتَّفْوِيضِ) هُوَ أَنْ لَا يَخْتَارَ الْعَبْدُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأَنْ يَرْضَى بِاخْتِيَارِ مَوْلَاهُ وَقِيلَ التَّفْوِيضُ قَبْلَ نُزُولِ الْقَضَاءِ وَالتَّسْلِيمُ بَعْدَهُ (وَذَلِكَ) الْمَقَامُ (عَزِيزٌ) نَادِرٌ (جِدًّا) لَا يُوجَدُ إلَّا فِي أَقَلِّ قَلِيلٍ.

[السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ الْخَوْفُ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا]

(السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ الْخَوْفُ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَهُوَ انْقِبَاضُ الْقَلْبِ كَرَاهَةَ أَنْ يُصِيبَهُ)

فِي الِاسْتِقْبَالِ (مَكْرُوهٌ دُنْيَوِيٌّ وَهُوَ غَيْرُ الْحُزْنِ لِأَنَّهُ) أَيْ الْحُزْنَ (لِمَا مَضَى) وَنَزَلَ مِنْ الْمَصَائِبِ أَوْ فَوَاتِ الْمَطَالِبِ (وَالْخَوْفُ لِلْمُسْتَقْبَلِ وَغَيْرُ الْجُبْنِ لِأَنَّهُ نُقْصَانُ الْغَضَبِ وَلَا يَسْتَلْزِمُ) الْجُبْنُ (الْخَوْفَ وَهُوَ) أَيْ الْخَوْفُ (إمَّا مِنْ الْفَقْرِ أَوْ الْمَرَضِ أَوْ إصَابَةِ مَكْرُوهٍ) كَأَخْذِ أَمْوَالٍ وَإِتْلَافِ نَفْسٍ وَضَرْبٍ وَحَبْسٍ (مِنْ مَخْلُوقٍ أَمَّا الْأَوَّلُ) أَيْ الْخَوْفُ مِنْ الْفَقْرِ (فَمَذْمُومٌ جِدًّا لِأَنَّ الْفَقْرَ حَالُ نَبِيِّنَا – صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَحَالُ أَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ) – عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – لِعِلْمِهِمْ بِمَنْزِلَةِ الْفَقْرِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَذَالَةِ الْغِنَى الَّذِي هُوَ مَعْدِنُ أَكْثَرِ الشُّرُورِ وَلِذَا امْتَنَعَ مِنْهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ (وَ) أَكْثَرُ (الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ) كَالصِّدِّيقِ الْأَعْظَمِ كَمَا رُوِيَ عَنْهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ." (٢)

"فالإيمان هو الدافع للاستقامة وللسلوك الصحيح (و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من إمرهم) [الأحزاب: ٣٦]

(و أطيعوا الله و رسوله إن كنتم مؤمنين) [الأنفال: ١]

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٢/٢٩٦

(٢) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٣/١١٥

(و من يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) [الحج: ٣٢]

العبادات وسائل:

فإن كانت حياة القلب بالإيمان هي الهدف الذي به تتحقق العبودية لله عز وجل فكيف يصل المسلم لهذا الهدف؟!

أرشدنا الله عز وجل إلى الوسائل التي من شأنها أن تبلِّغنا هذا الهدف .. هذه الوسائل هي العبادات بقسميها القلبية والبدنية (يآيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) [البقرة: ٢١]

فالعبادات أدوية ناجحة تحقق للقلب عبوديته التامة لله عز وجل ..

فالصلاة من شأنها أن تُشعر المسلم بخضوعه وانكساره لربه، وهي وسيلة عظيمة للاتصال به سبحانه، ومناجاته، واستشعار القرب منه، والأنس به، والشوق إليه فتكون نتيجتها زيادة خضوع المشاعر لله (و اسجد و اقترب) [العلق:١٩]، (ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً) [الاسراء: ١٠٩]

وبهذا يزداد الإيمان من خلال تلك الصلاة، و تظهر آثاره في دوافع المرء و سلوكه، فتزداد مسارعته لفعل الخير، ويقوى وازعه الداخلي ومقاومته لفعل المعاصي أوالاقتراب منها فيحقق قوله تعالى (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) [العنكبوت: ٤٥]

والصدقة عبادة عظيمة تقوم بمعالجة القلب من داء حب الدنيا و التعلق بها .. أي أنها تطهر القلب وتزيده قوة (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها) [التوبة: ١٠٣]

والصيام يساعد المرء على السيطرة على نفسه و إلزامها تقوى الله (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) [البقرة: ١٨٣].

والذكر يهدف إلى تذكُّر الله .. تذكُّر عظمته وجلاله وجماله و إكرامه فيزداد به المرء اطمئناناً و ثقة وإيماناً (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) [الرعد: ٢٨]

وهكذا في بقية العبادات القلبية والبدنية، و التي تشكل منظومة متكاملة، يتحقق من خلال القيام الصحيح بها الهدف العظيم من وجودنا على الأرض ..

فما من عبادة أرشدنا الله إليها إلا و تُعد بمثابة وسيلة و"مَركبة" تنقلنا إلى الأمام في اتجاه القرب منه سبحانه حتى نصل إلى الهدف العظيم في الدنيا (أن تعبد الله كأنك تراه) وفي الآخرة (و ينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) [الزمر: ٦١]

تهيئة الأجواء لتحقيق الهدف:

والمتأمل لتوجيهات الشرع يجد أنها تحثنا وتساعدنا على تهيئة الأجواء المناسبة للتفاعل القلبي مع العبادات ومن ثم زيادة الإيمان من خلالها، فعلى سبيل المثال: الصلاة .. نجد أن الشرع يحثنا على تفريغ الذهن من الشواغل وعدم **تعلق القلب** بشيء من شأنه أن يمنعنا من التركيز فيها، فإذا حضر الطعام مع دخول وقت الصلاة يفضل البدء بالطعام حتى يدخل المرء إلى الصلاة و ذهنه غير مشغول به.

وكذلك عند مدافعة الأخبثين .. قال صلى الله عليه و سلم: (لا صلاة بحضرة الطعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان) (١)
ولا ينبغي للمرء أن يُسرع في خطواته إلى المسجد ليدرك الصلاة، بل عليه أن يمشي في سكينة و هدوء، فالإسراع من شأنه أن يجعله يذهب إلى الصلاة وهو مضطرب فيصعب عليه جمع قلبه ..
والحث على التبكير في الذهاب للمسجد قبل إقامة الصلاة له دور مهم في صرف شواغل الدنيا عن الذهن ..
وكذلك فإن الحث على تذكر الموت قبل الصلاة من شأنه أن يستجيش المشاعر نحو الرجاء و الطمع في عفو الله و الخوف والرهبة من عقوبته ..

---

(١) رواه مسلم." (١)

"قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ ١، قالوا ذلك وهو إنَّما دعاهم إلى لا إله إلا الله؛ لأنَّهم فهموا أنَّ المراد بها نفي الألوهية عن كلِّ ما سوى الله وإثباتُها لله وحده لا شريك له، ف لا إله إلا الله اشتملت على نفي وإثبات، فنفت الإلهية عن كلِّ ما سوى الله – تعالى –، فكلُّ ما سوى الله من الملائكة والأنبياء فضلاً عن غيرهم فليس بإله، وليس له من العبادة شيء، وأثبتت الإلهية لله وحده، بمعنى أنَّ العبد لا يأْلَهُ غيرَه، أي: لا يقصده بشيء من التألّه، وهو **تعلّق القلب** الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك.
وقد جاء في القرآن الكريم نصوصٌ كثيرةٌ تُبيِّنُ معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وتوضح المراد بها، ومن ذلك قول الله – تعالى –: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ٢، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ ٣، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٤، وقال تعالى حكاية عن مؤمن يس: ﴿وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ ٥، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

---

١ سورة الأعراف، الآية: (٧٠) .
٢ سورة البقرة، الآية: (١٦٣) .
٣ سورة البينة، الآية: (٥) .
٤ سورة الزخرف، الآية: (٢٦ – ٢٨) .
٥ سورة يس، الآية: (٢٢ – ٢٤) .." (٢)

---

(١) حتى لا نخسر رمضان مجدي الهلالي ص/٢
(٢) دراسات في الباقيات الصالحات عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٣١

"لكن العبادة المأمور بها، تتضمن معنى الذل، ومعنى الحب، فهي تشتمل على غاية الذل لله، وغاية الحب له....

وأول مراتب الحب العلاقة، **لتعلق القلب** بالمحبوب ثم الصبابة لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب الملازم للقلب، ثم العشق وآخرها التتيم، يقال: تيم الله، أي عبد الله، فالمتيم المعبد لمحبوبه١.....

والواجب أن يكون الله أحب للعبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء.

إن حب الله وتعظيمه يجعل العبد سعيدا بعبادة الله، فيطيع راضيا، ويتوكل مطمئنا.

إن الله سبحانه هو رب العالمين، وخالقهم، ورازقهم، ومحييهم، ومميتهم، ومقلب قلوبهم، ومصرف أمورهم، لا رب لهم غيره، ولا مالك لهم سواه ولا خالق لكل شيء، ومدبره، ومسخره، إلا هو، سواء اعترفوا بذلك، أو أنكروه، وسواء علموا ذلك، أو جهلوه، لكن أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك، وآمنوا به، وشكروه بعبودية الإلهية، رغبا ورهبا، بخلاف من كان جاهلا بذلك أو جاحدا له، مستكبرا على ربه، لا يقر ولا يخضع له، مع علمه بأن الله ربه وخالقه، فالمعرفة بالحق إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجحد له، كانت عذابا على صاحبها، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ٢، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٣، وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ٤.

---

١ العبودية ص١٣.

٢ سورة النمل آية "١٤".

٣ سورة البقرة آية "١٤٦".

٤ سورة الأنعام آية "٣٣".." (١)

"القسم الثالث: توحيد الألوهية

يعتبر توحيد الألوهية، ثمرة مباشرة لتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية.

لأن توحيد الأسماء والصفات ينفي الشريك في الاسم، والصفة، وتوحيد الربوبية يدور على إثبات الفعل، والتأثير لله وحده.

فإذا ما آمن الإنسان بربوبية الله، وأسمائه وصفاته، يجد نفسه تلقائيا مؤمنا بألوهية الله تعالى، **فيتعلق القلب** به سبحانه، خوفا ورجاء، ويتعلق اللسان به صدقا وإيمانا، وتتعلق الجوارح به عملا وطاعة.

وحين يحقق المؤمن في نفسه توحيد الألوهية تتحقق العبودية الصادقة التي من أجلها خلق الله الإنسان.

إن تكامل الإيمان في الشخصية المؤمنة يبرز التوحيد، والعبادة، في قالب واحد، لا ينفك أحدهما عن الآخر، وهو الذي عناه الأنبياء وهم ينادون في الناس ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ .

ولقد بدأت البشرية بنبي الله آدم عليه السلام، مؤمنة، موحدة، تشهد بوحدانية الله تعالى في أسمائه وصفاته، وربوبيته،

---

(١) دعوة الرسل عليهم السلام أحمد أحمد غلوش ص/٤٩٨

وألوهيته، لكنها لم تستمر على الإيمان طويلا؛ إذ لعب بها الهوى، وأضلها إبليس، فاتخذت آلهة عددا، وعبدتها من دون الله تعالى.

وكانت كلما جاءهم رسول يدعوهم إلى الحق، لا يؤمنون، وإن آمن بعضهم فسرعان ما يرتدون.

إن تاريخ الناس بالنسبة لدين الله مؤسف، ففترات الكفر، والإلحاد تربو على فترات الإيمان، ولم يأت رسول إلى قومه إلا وهم على ضلال مبين، بدءا بنوح عليه السلام إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، وكان الناس خلال ضلالهم يعبدون الأصنام، والأوثان، والأشخاص، والكواكب، والأشجار، والبيوت وغيرها.

جاء نوح عليه السلام فوجد قومه، يعبدون الأصنام من دون الله تعالى، فدعاهم إلى التوحيد الخالص، والعبودية الحقة، لكن القوم أصروا على كفرهم وقالوا ما حكاه." (١)

"وقال إبراهيم – عليه السلام – لقومه: ﴿وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ (الأنعام: من الآية٨٠).

٨ – التشاؤم:

كم كان التشاؤم سببًا في التعاسة والمتاعب. ولهذا كان المصطفى – صلى الله عليه وآله وسلم – يعجبه الفأل، ويكره التشاؤم. (رواه البخاري ومسلم).

فالمتشائم يتحمل بفعل اتجاهه التشاؤمي متاعب عدة، هي أشد وقعًا على أعصابه من الكوارث والملمات التي قد تقع به.

٩ – سوء الظن:

فالله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: من الآية١٢).

ويقول الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم –: «إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثَ» (متفق عليه).

١٠ – الكبر: المتكبر يعيش في شقاء دائم، وتعاسة أبدية، وإن تغطرس، وتعالى على الناس، وغمطهم حقوقهم.

١١ – **تعلق القلب** بغير الله: كتعلق قلب العاشق بمعشوقته.

ويكفي لتصوير خطورة الأمر أن نقرأ قصة مجنون ليلى، لنعلم كيف عاش هذا الرجل شريدًا طريدًا، حتى جُنَّ، ومات وهو عاشق. وكم من عاشق مات في عشقه، وقدم على الله وقلبه معلق بغيره. فيالها من خسارة دنيوية وأخروية.

١٢ – المخدرات:

إن كثيرًا من الناس يتوهم أن السعادة تجتلب بمعاقرة المخدرات والمسكرات، فيقبلون عليها، قاصدين الهروب من هموم الدنيا ومشاغلها وأتراحها، وإذا بهم يجدون أنفسهم كالمتجير من الرمضاء بالنار.

إن المخدرات في الحقيقة تجلب الشقاء، واليأس، والانحلال، والدمار: دمار الفرد والمجتمع والأمة، وإن لنا في الواقع الحاضر لخير شاهد على ذلك فليعتبر أولو الألباب.." (٢)

---

(١) دعوة الرسل عليهم السلام أحمد أحمد غلوش ص/٥٠٥

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٣١٥/١

"وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: «ما أصابتني مصيبة إلاّ رأيتُ أن لله عَلَيّ فيها ثلاث نِعَم: أن لم تكن المصيبة في ديني، ولم يكن ما هو أكبر منها فدفع الله بها ما هو أعظم منها، والثالثة ما جعل الله فيها من الكفارة لما كنا نتوقاه من سيئات أعمالنا».

٧ – الزهد: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ – رضي الله عنه – قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ – صلى الله عليه وآله وسلم – رَجُلٌ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وآله وسلم –: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَاسُ» (صحيح رواه ابن ماجه وغيره).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وآله وسلم – بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» (رواه البخاري).

ومعنى ذلك أن لا يتعلق القلب بالدنيا، إلاّ كما يتعلق الغريب في غير وطنه حيث لا ينبغي له أن يشتغل بما لا ضرورة له، والدار الآخرة هي وطن المؤمن وليست الدنيا.

قال سفيان الثوري: «الزهد في الدنيا ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء ولكنه قصر الأمل».

٨ – الخوف: عَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وآله وسلم – خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وآله وسلم – وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ» (رواه البخاري ومسلم). والخنين: هو الصَّوْت الَّذِي يَرْتَفِع بِالْبُكَاءِ مِنْ الأنْفِ.

٩ – الرجاء: عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يقول: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ." (١)

"(فَإِذَا خَرَجَتْ اِسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ) أَيْ زَيَّنَهَا فِي نَظَرِ الرِّجَالِ، وَقِيلَ أَيْ نَظَرَ إِلَيْهَا لِيُغْوِيَهَا وَيُغْوِيَ بِهَا. وَالْأَصْلُ فِي الِاسْتِشْرَافِ رَفْعُ الْبَصَرِ لِلنَّظَرِ إِلَى الشَّيْءِ وَبَسْطُ الْكَفِّ فَوْقَ الْحَاجِبِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَرْأَةَ يُسْتَقْبَحُ بُرُوزُهَا وَظُهُورُهَا فَإِذَا خَرَجَتْ أَمْعَنَ النَّظَرَ إِلَيْهَا لِيُغْوِيَهَا بِغَيْرِهَا، وَيُغْوِيَ غَيْرَهَا بِهَا لِيُوقِعَهُمَا أَوْ أَحَدَهُمَا فِي الْفِتْنَةِ.

أَوْ يُرِيدَ بِالشَّيْطَانِ شَيْطَانُ الْإِنْسِ مِنْ أَهْلِ الْفِسْقِ سَمَّاهُ بِهِ عَلَى التَّشْبِيهِ.

والاختلاط وسيلة إلى تسهيل هذا التزيين والإغواء.

دَعِي عنكِ قومًا زاحمَتْهُم نساؤُهم ... فكانوا كما حفَّ الشرابَ ذبابُ

تساوَوا فهذا بينهم مثلُ هذهِ ... وسِيَّانُ معنىً يافعٌ وكَعَابُ

وما عجبي أنَّ النساءَ ترجَّلَتْ ... لكنَّ تأنيثَ الرجالِ عُجَاب

الغُلامُ إذا كادَ يَبْلُغُ الحُلُمَ أوْ بَلَغَهُ فهو يافِع وَمُرَاهِق، والكَعَاب: المرأة حين يَبْدُو ثَدْيُها للنّهود، والمعنى: لا فرق عندهم بين

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٤١١/١

ذكر وأنثى، فالرجال مثل النساء.

الدليل الثامن: قول رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا» (رواه مسلم).

ووجه الدلالة أن الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – شرع للنساء إذا أَتَيْن إلى المسجد فإنهن ينفصلن عن الجماعة على حدة، ثم وصف أول صفوفهن بالشر، والمؤخر منهن بالخير، وما ذلك إلا لبُعد المتأخرات عن الرجال عن مخالطتهم ورؤيتهم **وتعلق القلب** بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم، وذمّ أول صفوفهن لحصول عكس ذلك، ووصف آخر صفوف الرجال بالشر إذا كان معهم نساء في المسجد؛ لفوات التقدم والقُرْب من الإمام وقربه من النساء اللاتي يشغلن البال، وربما أفسدن به العبادة وشوشن النية والخشوع.

فإذا كان الشارع توقع حصول ذلك في مواطن العبادة مع أنه لم يحصل اختلاط فحصول ذلك إذا وقع اختلاط من باب أولى فيمنع الاختلاط من باب أولى.." (١)

"قال الشيخ محمد المسعودي: قال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى: صحبة الأحداث أقوى حبائل الشيطان التي يصيد بها، وقد كان السلف الصالح يبالغون في الإعراض عن المُرْدِ، ولهذا روى مجاهد عن الشعبي قال: " قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم، وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة، فأقامه النبي صلى الله عليه وسلم من بين يده، فأجلسه وراء ظهره "، فأبعده عن نظره، وليس هذا مما يفعله طائفة من فقراء البوادي، يجلسون الشباب خلف أظهرهم دائماً على طريق العشرة والمخالطة – نعوذ بالله من ذلك – ومن فعل ذلك فقد ابتدع. إخواني إذا كان سيد البشر يحذر من النظر إلى الأمرد هذا الحذر، فما ظنك بأهل هذا الزمان في الخطرة قلوب مملوءة بالشهوات، وأبدان تغتذي بالشبهات والمحرمات، هل الفتنة فيها إلا أسرع من وقوع الذباب في العسل، وهل ينازع في ذلك إلا مَنْ في عقله خبل، فنسأل الله العافية. وقال أبو بكر محمد بن موسى الواسطي: " إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هذا الجيف " يريد بذلك **تعلق القلب**.

وقال أبو الفرج: قال ابن المبارك: دخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه غلام صبيح الوجه فقال: " أخرجوه أخرجوه فإني أرى مع كل امرأة شيطان، ومع كل غلام بضعة عشر شيطاناً ". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تجالسوا أبناء الملوك، فإن الأنفس تشتاق إليهم مالا تشتاق إلى الجواري العِتاق ". وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تملئوا أعينكم من أبناء الملوك، فإن لهم فتنة أشد من العذارى ".

فصل

فيما ينبغي أن يكون عليه الصبي

ينبغي أن يكون الصبي كثير الحياء، قليل المخالطة للأجانب. وقال وهب بن منبه: إذا كان في الصبي خصلتان: الحياء، والرهبة رجي خيره. وقال عمر بن الخطاب: " ما أنا أخاف على عالم من سبعٍ ضارٍ، بأخوف عليه من غلام أمرد ". وقال الحسن بن ذكوان: " لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور النساء، وهم أشد فتنة من العذارى ". وقال بعضهم: "

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٢/٥١١

الحوادث كلها من النظر ". وقال أبو علي الروزباري رحمه الله: قال لي أحمد المؤدب رحمه الله: قد رأينا من كان أقوى إيمانا من الصوفية، وإذا رأى الحدث قد أقبل يفر منه كفراره من الأسد!

فصل

في الخصال التي يجوز النظر إلى النساء وسماع صوتهن

الخصال المجيزة للنظر:

اعلم أن النظر إلى النساء عامداً لا يجوز إلا بأربع خصال: عند إرادة التزويج، وعند الشهادة عليها، وإذا كن ذات محرم له مثل الأم، والأخت والخالة، والعمة، ونظر الزوج إلى الزوجة.

متى يجوز سماع صوتها:

ولا يجوز سماع صوتها إلا عند أشياء: في البيع، والشراء، والاستفتاء، والمحاكمة، والشهادة، والرواية.

حكم نظر الرجل إلى المرأة:

وقال الشيخ تقي الدين بن الحصني: ونظر الرحل إلى الأجنبية على سبعة أضرب: إحداها نظرة إلى أجنبية لغير حاجة، فهو غير جائز للرجال البالغ من الذكور، وكذا المرأة. وهي البالغة من الإناث، ثم إن النظر لا تدعو إليه الحاجة، وقد تدعو إليه الحاجة.

الضرب الأول: أن لا تمس إليه الحاجة وحينئذ فحرم نظر الرجل إلى عورة الأمة إن خاف فتنة، فإذا لم يخف فتنة خلاف الصحيح، التحريم قاله الاصطخري وأبو علي الطبري واختاره الشيخ أبو محمد، وبه قطع الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، والروياني ووجهه الإمام باتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج، وبأن النظر مَظِنّة الفتنة، وهو محرك الشهوة فالأليق بمحاسن الشرع سد هذا الباب، والإعراض عن تفاصيل الأحوال، كما تحرم الخلوة بالأجنبية، ويحتج له بعموم قوله تعالى: (قُل لِّلْمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) .

حكم نظر المراهق:." (١)

"إحداها: أنه يؤدب ولا حد عليه، وهذا قول مالك وأبي حنيفة والشافعي في أحد قوليه، وقول إسحاق. والقول الثاني: حكمه حكم الزاني، يجلد أن كان بكراً، ويرجم إن كان محصناً. وهذا قول الحسن. والقول الثالث: أن حكمه حكم اللوطى نص عليه الإمام أحمد رضي الله عنه، فيخرج عن الروايتين في حده، هل هو القتل حتماً أو كزانٍ! والذين قالوا: " حده حد القتل " احتجوا بما رواه ابن داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: " من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه ". قالوا ولأنه وطء لا يباح بحال، فكان فيه القتل حداً للوطء، ومن لم ير عليه الحد قالوا: لم يصح فيه الحديث، ولو صح لقلنا به، ولم يحل لنا مخالفته. قال إسماعيل بن سعيد الشالنجي: سألت الإمام أحمد بن حنبل عن الذي يأتي البهيمة؟ فوقف عندها، ولم يثبت حديث عمرو بن أبي عمرو في ذلك. وقال الطحاوي الحديث ضعيف. وأيضاً فهو من رواية ابن عباس رضي الله عنهما. وقد أفتى بأنه لا حد عليه. قال أبو داود: وهذا يضعف الحديث. ولا ريب

---

(١) سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان المشتولي ص/١٠

أن الزاجر الطبيعي عن إتيان البهيمة أقوى من الزاجر الطبيعي عن التلوط، وليس الأمران كما تقدم في طباع الناس سواء؛ فإلحاق أحدهما بالآخر من أفسد القياس.

فصل

في آفات الأمرد

قال سيدي عبد العزيز الديريني رحمة الله عليه في مختصر رسالة القشيري له: ومن أكبر الآفات للأمرد أن يعلق قلبه بمحبة مخلوق فإن ذلك من اكبر الشواغل، ويستعان على السلامة من ذلك بقلة مخالطة الناس، لاسيما ممن تميل النفوس إليهم لحسنٍ أو إحسان. قال سيدي فتح الموصلي: صحبت ثلاثين شيخاً – رحمة الله عليهم – كانوا يعدون من الأبدال وكلهم أوصوني عند فراقي لهم وقالوا: اتق معاشرة الأحداث. والتحقيق في هذه المسألة أنه من يغلب على ظنه أنه إذا صحب الأحداث مال إليهم بشهوة محرمة فإنه يحرم عليه صحبتهم، فإن صحبهم لمحرم فهي كبيرة، وإن صحبهم وعنده ميل إليهم وهو يزجر نفسه، فهو رجل مخلط جمع بين حسنات وسيئات. والمؤمن تسره الحسنة ويراها منه الله تعالى وتسوءه المعصية ويستغفر الله منها. وأما من يحب الشباب ويشاهد حسنهم، ويرى ذلك يزيد في بسطه مع الله، ومشاهدة جمال الله، فإن هذا هو الذي عدوه شركاً وكفراً، ومن سلم من الفتنة من محبة الشباب فتعلق قلبه بهم والأنس إليهم شاغل القلب، فلهذا كانوا ينهون عن صحبة الشباب. وأما من سلم من **تعلق القلب** بهم وصحبهم لله تعالى وأرشدهم وعلمهم وأدبهم فله الأجر العظيم، وهذا لا تخفى مصلحته ولم تزل الأصاغر ينتفعون بصحبة الأكابر في كل عصر من الأعصار وهذه المسألة يعرف الإنسان فيها حاله وينصف من نفسه ويستغني عن فتوى غيره. انتهى كلام الشيخ عبد العزيز رحمه الله. قال سيدي فتح الموصلي: صحبت ثلاثين شيخاً كلهم كان يوصيني عند مفارقتي له بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل.." (١)

"هذه هي أهم الحقائق التي نزلت سورة يوسف لتؤكدها من خلال سياق الأحداث التي حدثت والنتائج التي تحققت، وحتى لا تُنسى هذه الحقائق في خضم أحداث القصة: جاءت نهاية السورة لتقررها بصورة مباشرة، وتقول لنا بأنه كلما تزلزلت تصوراتنا عن إمكانية وقوع الفرج وانكشاف الضر، ومجيء النصر من أحد دون الله، ويئسنا تمامًا من ذلك، واتجهت القلوب بكليتها إلى ربها، كان الفرج والنصر أقرب مما يتخيله الجميع ومن خلال أهون الأسباب ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

هل نترك الأسباب؟!

وليس معنى هذا هو ترك الأخذ بالأسباب، وعدم بذل الجهد مع الناس، أو الانفصال عنهم، بل المقصد هو عدم **التعلق القلبي** بهم، أو الاعتقاد بأنهم يملكون كشف الضر عنا، أو أنهم يملكون القدرة على فك الحصار عن الدعوة ولو يسيرًا .. فالأمر كله لله ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

إن إقامة المشروع الإسلامي والتمكين لدين الله في الأرض لن يتم إلا من خلال التعلق التام بالله عز وجل، مع بذل غاية الجهد واستنفاد جميع الأسباب المتاحة، ومد جسور التعاون مع الجميع، وكيف لا ونحن مأمورون بذلك: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ

(١) سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان المشتولي ص/٢٩

حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨].

فالأخذ بالأسباب المشروعة جزء من شريعة الله، وجزء كذلك من قدر الله، وحين يتركها أهل الدعوة فهم مقصرون في أداء واجبهم، وفي نفس الوقت عليهم – مع بذلهم لعظيم الجهد واستنفادهم لجميع الأسباب المتاحة أمامهم – أن تكون قلوبهم متعلقة تمام التعلق بالله عز وجل من حيث كونه – سبحانه – هو مالك هذا الكون والمتصرف فيه، وأن الأمر كله بيده وأنه هو وحده القادر على كشف الضر وتفريج الكرب، وأن الأمة كلها لو اجتمعت على أن تضر الدعوة بشيء لم يأذن به الله فلن يتم لها ما أرادت ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

جهد البشر:

ومع التأكيد القرآني الدائم على أن الناصر هو الله، وأن كاشف الضر، وفارج الكرب هو الله، وأن الذي يمكن للعباد هو الله، إلا أنه يؤكد أيضًا على أن الفرج والنصر وكشف الضر يحتاج إلى ستار من الأسباب يتنزل عليه .. تأمل معي قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ – وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥].

إن هذا الدين لن يقام إلا بجهد الفئة المؤمنة، وجهادها المرير، واستنفادها لجميع الأسباب المتاحة أمامها، مع يقينها بأن هذا كله لا يشكل سوى ستارًا يستدعي قدر الله بالنصر والتمكين، ولو تعلقت قلوب الفئة المؤمنة بهذا الستار ولو يسيرًا لتأخر الفرج والنصر حتى يخلص تعلقها بالله وحده.." (١)

"فروي عن بعض القدماء أنه قال لرجل: يا أبا الوليد! إن كنت أبا الوليد! يتورع أن يكنيه ولا ولد له! ولو أوغل هذا في العلم، لعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كَنَّى صهيبًا أبا يحيى١، وكَنَّى طفلًا [فقال] : "يا أبا عُمَيْرٍ! ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ " ٢.

٢١٣- وقال بعض المتزهدين: قيل لي يومًا: كل من هذا اللبن! فقلت: هذا يضرني. ثم وقفت بعد مدة عند الكعبة، فقلت: اللهم! إنك تعلم أني ما أشركت بك طرفة عين. فهتف بي هاتف: ولا يوم اللبن؟!

وهذا لو صح؛ جاز أن يكون تأديبًا له؛ لئلا يقف مع الأسباب ناسيًا للمسبب، وإلا، فالرسول صلى الله عليه وسلم قد قال: "ما زالت أكلة خيبر تعاودني حتى الآن قطعت أبهري" ٣، وقال: "ما نفعني مال كمال أبي بكر" ٤.

٢١٤- ومن المتزهدين أقوام يرون التوكل قطع الأسباب كلها، وهذا جهل بالعلم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم: دخل الغار٥، وشاور الطبيب٦، ولبس الدرع٧، وحفر الخندق٨، ودخل مكة في جوار المطعم بن عدي، وكان كافرًا٩، وقال لسعد: "لأن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس".

فالوقوف مع الأسباب مع نسيان المسبب غلط، والعمل على الأسباب مع تعلق القلب بالمسبب هو المشروع، وكل هذه الظلمات إنما تقطع بمصباح العلم، ولقد ضل من مشى في ظلمة الجهل، أو في زقاق الهوى.

---

(١) صبرا آل ياسر مجدي الهلالي ص/٨

١ رواه الحاكم "٣/ ٣٩٨-٤٠٠" عن أنس وصهيب رضي الله عنهما.

٢ رواه البخاري "٦١٢٩"، ومسلم "٢١٥٠" عن أنس رضي الله عنه. والنغير طائر يشبه العصفور أحمر المنقار.

٣ رواه البخاري "٤٤٢٨" عن عائشة رضي الله عنها.

٤ رواه الترمذي "٣٦٦١"، وأحمد "٢/ ٢٥٣-٣٦٦"، وابن ماجة "٩٤"، وابن حبان "٢١٦٦و ٦٨٥٨" عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٥ رواه البخاري "٣٩٠٥" عن عائشة رضي الله عنها.

٦ عن جابر قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن كعب طبيبًا، فقطع منه عرقًا، ثم كواه عليه، رواه مسلم "٢٢٠٧".

٧ قال الهيثمي في المجمع "٦/ ١٠٨": رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.

٨ رواه البخاري "٤١٠١-٤١٠٤"، ومسلم "١٨٠٣" عن البراء رضي الله عنه.

٩ ذكره ابن هشام في السيرة ص "٣٣٤".." (١)

"٢٥٢- فصل: الحزم في كتمان الحب والبغض

١١٧٢- من أراد اصطفاء محبوب، فالمحبوب نوعان: امرأة يقصد منها حسن الصورة، وصديق يقصد منه حسن المعنى، فإذا أعجبتك صورة امرأة، فتأمل خلالها١ الباطنة مديدةً٢ قبل أن **يتعلق القلب** بها تعلقًا محكمًا، فإن رأيتها كما تحب -وأصل ذلك كله الدين، كما قال صلى الله عليه وسلم: "عليك بذات الدين" ٣- فمل إليها، واستولدها، وكن في ميلك معتدلًا٤، فإنه من الغلط أن تظهر لمحبوبك المحبة، فإنه يشتط عليك، وتلقى منه الأذى من التجني والهجران، والإدلال وطلب الإنفاق الكثير -وإن كانت تحبك- لأن هذا إنما يجتلبه حب الإدلال والتسلط على المقهور.

١ خلالها: صفاتها وخصالها.

٢ مديدة: مدة قصيرة.

٣ رواه البخاري "٤٤٣"، ومسلم "١٤٦٦"، عن جابر رضي الله عنه.

٤ في الأصل: معتدل الميل.." (٢)

"وحاميت عنه الأعداء، فلم يقصده جبار، وجمعت له ما لم تجمع لأكثر الخلق من فنون العلم، التي لا تكاد تجتمع في شخص، وأضفت إليها **تعلق القلب** بمعرفتك ومحبتك، وحسن العبارة١ ولطفها في الدلالة عليك، ووضعت له في القلوب القبول، حتى إن الخلق يقبلون عليه، ويقبلون ما يقوله، ولا يشكون فيه، ويشتاقون إلى كلامه، ولا يدركهم الملل منه، وصنته

(١) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٨٧

(٢) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٣٥٦

بالعزلة عن مخالطة من لا يصلح، وآنسته في خلوته بالعلم تارة، وبمناجاتك أخرى، وإن ذهبت أعد؛ لم أقدر على إحصاء عشير العشير: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] ، فيا محسنًا إلي قبل أن أطلب! لا تخيب أملي فيك وأنا أطلب، فبإنعامك المتقدم أتوسل إليك.

---

١ في الأصل: العبادة، وهو تصحيف.." (١)

"والسلام في الحديث الصحيح: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل) (١)

فالجدل بغير دليل ولا قصد صحيح يؤدي إلى الابتعاد عن الصراط المستقيم، وما أكثر جدال الناس اليوم بالباطل يتجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ويكفي دافعاً لترك الخصلة الذميمة قوله صلى الله عليه وسلم: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً) (٢)

٢٠ – ومنه: التعلق بالدنيا، والشغف بها، والاسترواح إليها، **فيتعلق القلب** بالدنيا إلى درجة يحس صاحبه بالألم إذا فاته شيء من حظوظها كالمال والجاه والمنصب والمسكن، ويعتبر نفسه مغبوناً سيء الحظ لأنه لم ينل ما ناله غيره، ويحس بألم وانقباض أعظم إذا رأى أخاه المسلم قد نال بعض ما فاته هو من حظوظ الدنيا، وقد يحسده، ويتمنى زوال النعمة عنه، وهذا ينافي الإيمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد) (٣)

٢١ – ومنها: أن يأخذ كلام الإنسان وأسلوبه الطابع العقلي البحت ويفقد السمة الإيمانية حتى لا تكاد تجد في كلام هذا الشخص أثراً لنص من القرآن أو السنة أو كلام السلف رحمهم الله.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/ ٢٥٢ وهو في صحيح الجامع ٥٦٣٣.

(٢) رواه أبو داود ٥/ ١٥٠ وهو في صحيح الجامع ١٤٦٤ ..

(٣) رواه أبو داود ٥/ ١٥٠ وهو في صحيح الجامع ١٤٦٤.." (٢)

"وخلال مدة التيه مات موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وتولى حكم بني إسرائيل من بعد موسي عليه السلام فتاه يوشع بن نون، وانقضت السنوات الأربعون، وأراد يوشع بن نون أن يحارب الجبارين، ويدخل الأرض المقدسة، لكن ما فعله الجيل الجبان مع موسي عليه السلام لم يكن ليبرح مخيلته، لذلك فقد وضع شروطا قاسية لمن يريد الخروج معه، فقال لقومه كما جاء في الصحيحين: «لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن، ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنما أو خَلفَات، وهو ينتظر ولادها».

فهنا نجد أن يوشع بن نون عليه السلام قد شخَّص السبب الرئيس الذي من أجله رفضت بنو إسرائيل دخول الأرض المقدسة مع موسي عليه السلام ألا وهو حب الدنيا والتعلق بها، لذلك اشترط على من يريد الخروج معه عدم انشغال البال

---

(١) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٣٨٨

(٢) ظاهرة ضعف الإيمان محمد صالح المنجد ص/٢٢

أو **تعلق القلب** بشيء من الدنيا، لأنه لو تساهل في هذه الأمر لخرج معه من تشعبت همومه وخواطره في أودية الدنيا، فيصبح كل ما يتمناه ألا يصاب بمكروه، وأن يعود سالما حتى يستكمل مسيرته الدنيوية كما تطمح نفسه.

وما أدق ما قاله الإمام النووي في تعليقه على هذا الحديث وما يستفاد منه:

بأن الأمور المهمة ينبغي ألا تُفَوَّص إلا إلى أولى العزم وفراغ البال، ولا تُفوَّض إلى **متعلق القلب** بغيرها، لأن ذلك يُضعف عزمه، ويفوت كمال بذل وسعه فيه (١).

ونحن إذ نعيش في أجواء التيه المعنوي، ونريد الخروج منها نحتاج إلى رجال من أولى العزم، وتوهج الإيمان.

فهل يا أخي سنكون من هؤلاء؟!

هل سنكون ممن يوحد همه، ويجعله في مرضاة الله عز وجل، وحمل همّ هذا الدين، وإيقاظ الأمة؟! أم سنترك أنفسنا لتتنازعها زخارف الدنيا، وهي لا تنفك عن الهموم والمتاعب؟!

أَبشِرْ ثم أَبشِرْ ..

وعليك أن تتذكر- يا أخي- أننا إن صدقنا مع الله عز وجل، فإنه سبحانه سيتولى جميع أمورنا ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، ولك أن تقرأ هذا الحديث النبوي لتزداد بهذا المعنى يقينا .. قال صلى الله عليه وسلم: «تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم، فإنه من كانت الدنيا أكبر همه أفشى الله ضيعته، وجعل فقره بين عينيه (٢)، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وما أقبل عبد بقلبه إلى الله تعالى إلا جعل قلوب المؤمنين تفد إليه بالود والرحمة، وكان الله بكل خير إليه أسرع» (٣).

ويقول بديع الزمان النورسي وهو يعيش في حالة من الامتنان لربه: لقد شهدنا بأم أعيننا دون مبالغة الكثير من آثار الإكرام الإلهي، والعناية الربانية زهاء ست سنوات من سير خدمتنا للقرآن الكريم، إننا نُرَبَّى بشفقة ورأفة، وتجري معيشتنا بعناية بحيث يحسن إلينا صاحب العناية الذي يستخدمنا في هذه الخدمة بما يحقق أصغر رغبة من رغبات قلوبنا، وينعم بها علينا من حيث لا نحتسب (٤).

فماذا تريد- أخي- بعد هذا؟

الهجرة المطلوبة:

لقد هاجر المسلمون الأوائل من مكة إلى المدينة تاركين ديارهم وأموالهم وأقاربهم وذكرياتهم، وتاركين الكعبة والبلد الحرام .. تركوا هذا كله، وذهبوا إلى المجهول في يثرب .. منهم الرجل والمرأة، والشاب، والشيخ الكبير ...

فعلوا هذا الفعل العجيب من أجل إرضاء الله عز وجل ونصرة دينه.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٧٩ - دار المعرفة بيروت.

(٢) معنى أفشى الله ضيعته، وجعل فقره بين عينيه: أي شعب همومه، وجعله دوما يخشى الفقر وإن امتلك الكثير من المال.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) المكتوبات ص ٤٨٥.." (١)

"فالمقصود أن هذه الأعراف .. والعادات .. والفضلات .. والمباحات .. قد تكون حجاباً بين العبد وبين ربه .. وقد تكون كثرة النوم حجاباً بين العبد وبين الله .. قد يكون الزواج **وتعلق القلب** به حجاب بين العبد وبين الله .. وهكذا الاهتمام بالمباحات .. والمبالغة في ذلك .. وشغل القلب الدائم بها .. قد يكون حجاباً غليظاً يقطعه عن الله.

نسأل الله عز وجل ألا يجعل بيننا وبينه حجاباً ..

الحجاب الثامن: حجاب أهل الغفلة عن الله:

والغفلة تستحكم في القلب حين يفارق محبوبه جل وعلا .. فيتبع المرء هواه .. ويوالي الشيطان .. وينسى الله قال تعالى: (وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) [الكهف:٢٨] .. ولا ينكشف حجاب الغفلة عنه إلا بالانزعاج الناشئ عن انبعاث ثلاثة أنوار في القلبهي ما يلي:

(١) نور ملاحظة نعمة الله تعالى في السر والعلن .. حتى يغمر القلب محبته جلّ جلاله. فإن القلوب فطرت على حب من أحسن إليها.

(٢) نور مطالعة جناية النفس .. حتى يوقن بحقارتها .. وتسببها في هلاكه .. فيعرف نفسه بالازدراء والنقص .. ويعرف ربه بصفات الجمال والكمال .. فيبذل لله .. ويحمل على نفسه في عبادة الله .. لشكره وطلب رضاه.

(٣) نور الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان من الأيام .. فيدرك أن عمره رأس ماله. فيشمّر عن ساعد الجدّ حتى يتدارك ما فاته في يقسة عمره.

فيظل ملاحظا لذلك كله .. فينزعج القلب .. ويورثه ذلك يقظة تصيح بقلبه الراقد الوسنان .. فيهب لطاعة الله .. سبحانه وتعالى .. فينكشف هذا الحجاب .. ويدخل نور الله قلب العبد .. فيستضيء.

الحجاب التاسع: حجاب اهل العادات والتقاليد والأعراف:

إن هناك أناسا عبيد للعادة .. تقول له: لم تدخن؟!! .. يقول لك: عادة سيئة .. أنا لا أستمتع بالسيجارة .. ولا ضرورة عندي إليها .. وإنما عندما أغضب فإني أشعل السيجارة .. وبعد قليل أجد أني قد استرحت.

ولما صار عبد السيجارة .. فصارت حجابا بينه وبين الله .. ولذلك أول سبيل للوصول الى الله خلع العادات .. ألا تصير لك عادة .. فالإنسان عدو عادته فلكي تصل الى الله، فلا بد أن تصير حرا من العبودية لغير الله.

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" ولا تصح عبوديته ما دام لغير الله فيه بقية" .. فلا بد أن تصير خالصا لله حتى يقبلك.

---

(١) عودة الروح ويقظة الإيمان مجدي الهلالي ص/٣٤

الحجاب العاشر: حجاب المجتهدين المنصرفين عن السير إلى المقصود:." (١)

"هذا حجاب الملتزمين .. أن يرى المرء عمله .. فيكون عمله حجابا بينه وبين الله .. فمن الواجب ألا يرى عمله .. وإنما يسير بين مطالعة المنّة .. ومشاهدة عيب النفس والعمل .. يطاع منّة الله وفضله عليه أن وفقه وأعانه .. ويبحث في عمله .. وكيف أنه لم يؤده على الوجه المطلوب .. بل شابه من الآفات ما يمنع قبوله عند الله .. فيجتهد في السير .. وإلا **تعلق القلب** بالعمل .. ورضاه عنه .. وانشغاله به عن المعبود .. حجاب .. فإن رضا العبد بطاعته .. دليل على حسن ظنه بنفسه .. وجهله بحقيقة العبودية .. وعدم علمه بما يستحقه الرب جلّ جلاله .. ويليق أن يعمل به .. وحاصل ذلك أن جهله بنفسه وصفاتها وآفاتها .. وعيوب عمله .. وجهله بربه وحقوقه .. وما ينبغي أن يعامل به .. يتولد منها رضاه بطاعته .. وإحسان ظنه بها .. ويتولد من ذلك من العجب والكبر والآفات .. ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة .. فالرضا بالطاعة من رعونات النفس وحماقتها ..

ولله درّ من قال: متى رضيت نفسك وعملك لله فاعلم أنه غير راض به .. ومن عرف أن نفسه مأوى كل عيب وشر .. وعمله عرضة لكل آفة ونقص .. كيف يرضى الله نفسه وعمله؟!

وكلما عظم الله في قلبك .. صغرت نفسك عندك .. وتضاءلت القيمة التي تبذلها في تحصيل رضاه .. وكلما شهدت حقيقة الربوبية. وحقيقة العبودية .. وعرفت الله .. وعرفت النفس .. تبين لك أن ما معك من البضاعة .. لا يصلح للملك الحق .. ولو جئت بعمل الثقلين خشيت عاقبته .. وإنما يقبله بكرمه وجوده وتفضله .. ويثيبك عليه بكرمه وجوده وتفضله.

فحينها تتبرأ من الحول والقوة .. وتفهم أن لا حول ولا قوة إلا بالله .. فينقشع هذا الحجاب.

هذه هي الحجب العشرة بين العبد وبين الله .. كل حجاب منها أكبر وأشد كثافة من الذي قبله. أرأيت يا عبد الله كم حجاب يفصلك اليوم عن ربك سبحانه وتعالى؟! .. قل لي بربك: كيف يمكنك الخلاص منها؟!

فاصدق الله .. واصدق في اللجوء إليه .. لكي يزيل الحجب بينك وبينه .. فإنه لا ينسف هذه الحجب إلا الله ..

[*] قال ابن القيّم رحمه الله: (فهذه عشرة حجب بين القلب وبين الله سبحانه وتعالى .. تحول بينه وبين السير إلى الله .. وهذه الحجب تنشأ عن أربعة عناصر .. أربعة مسميات هي: النفس .. الشيطان .. الدنيا .. الهوى ..).

فلا يمكن كشف هذه الحجب مع بقاء أصولها وعناصرها في القلب البتة .. لا بد من نزع تلك الأربعة لكي تنزع الحجب التي بينك وبين الله.." (٢)

"(حديث بن عمر رضي الله عنهما الثابت في صحيح البخاري) قال: أخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنكبي فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل). وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٧/٢

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٨/٢

وهذا الحديث أصلٌ في قصر الأمل، وقد بَيَّن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن حال المسلم في الدنيا يدور بين حالين كما يلي:

ﷺ أحدهما: أن ينزل المؤمن نفسه كأنه غريب في الدنيا يتخيل الإقامة، لكن في بلد غربة، فهو غير **متعلق القلب** في بلد الغربة، بل قلبه معلق بوطنه الذي يرجع إليه. قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، له شأن وللناس شأن. لما خلق آدم أسكن هو وزوجته الجنة، ثم أهبطها منها، ووعدا الرجوع إليها، وصالح ذريتهما، فالمؤمن أبداً يحن إلى وطنه الأول.

[*] كان عطاء السليمي يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وارحم في القبر وحشتي، وارحم موقفي غداً بين يديك [الحلية ٦/ ٢١٧]

[*] وما أحسن قول يحيي بن معاذ الرازي: الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموتى نادماً مع الخاسرين.

ﷺ الحال الثاني: أن ينزل المؤمن نفسه في الدنيا كأنه مسافر غير مقيم البتة، وإنما هو سائر في قطع منازل السفر حتى ينتهي به السفر إلى آخره، وهو الموت، ومن كانت هذه حاله في الدنيا، فهمته تحصيل الزاد للسفر، وليس له همة في الاستكثار من الدنيا، ولهذا أوصى النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جماعة من أصحابه أن يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب، كما في الحديث الآتي:

(حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: ليكف الرجل منكم كزاد الراكب.

[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:

(ليكف الرجل منكم) من الدنيا." (١)

"تأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد، ودرر الفرائد.

(حديث بن عمر رضي الله عنهما الثابت في صحيح البخاري) قال: أخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنكبي فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل). وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك.

وهذا الحديث أصلٌ في قصر الأمل وأن الإنسان إذا أمسى لم ينتظر الصباح، وإذا أصبح لم ينتظر المساء، بل يظن أن أجله يدركه قبل ذلك، قال المروذي: قلت لأبي عبد الله – يعني أحمد — أي شيء الزهد بالدنيا؟ قال: قصر الأمل، من إذا أصبح، قال: لا أمسي.

، وقد بَيَّن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن حال المسلم في الدنيا يدور بين حالين كما يلي:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣/٣٣٢

ﷺ أحدهما: أن ينزل المؤمن نفسه كأنه غريب في الدنيا يتخيل الإقامة، لكن في بلد غربة، فهو غير **متعلق القلب** في بلد الغربة، بل قلبه معلق بوطنه الذي يرجع إليه. قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، له شأن وللناس شأن. لما خلق آدم أسكن هو وزوجته الجنة، ثم أهبطها منها، ووعدا الرجوع إليها، وصالح ذريتهما، فالمؤمن أبداً يحن إلى وطنه الأول.

[*] كان عطاء السليمي يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وارحم في القبر وحشتي، وارحم موقفي غداً بين يديك [الحلية ٦/ ٢١٧]

[*] وما أحسن قول يحيى بن معاذ الرازي: الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموتى نادماً مع الخاسرين.

ﷺ الحال الثاني: أن ينزل المؤمن نفسه في الدنيا كأنه مسافر غير مقيم البتة، وإنما هو سائر في قطع منازل السفر حتى ينتهي به السفر إلى آخره، وهو الموت، ومن كانت هذه حاله في الدنيا، فهمته تحصيل الزاد للسفر، وليس له همة في الاستكثار من الدنيا، ولهذا أوصى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جماعة من أصحابه أن يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب، كما في الحديث الآتي:

(حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ليكف الرجل منكم كزاد الراكب.

[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:

(ليكف الرجل منكم) من الدنيا." (١)

"ﷺ ومن أعظم أسباب ضيق الصدر: الأعراض عن الله تعالى، **وتعلق القلب** بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه، فإن من أحب شيئا غير الله عذب به، وسجن قلبه في محبة ذلك الغير، فما في الأرض أشقى منه، ولا أكسف بالا، ولا أنكد عيشا، ولا أتعب قلبا. فهما محبتان: محبة هي جنة الدنيا، وسرور النفس، ولذة القلب، ونعيم الروح وغذاؤها ودواؤها، بل حياتها وقرة عينها، وهي محبة الله وحده بكل القلب، وانجذاب قوى الميل والإرادة والمحبة كلها إليه.

ومحبة هي عذاب الروح، وكم النفس، وسجن القلب، وضيق الصدر، وهي سبب الألم والنكد والعناء، وهي محبة ما سواه سبحانه.

(٥) ومن أسباب شرح الصدر: دوام ذكره على كل حال، وفي كل موطن، فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه.

(٦) ومنها: الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما ليمكنه من المال والجاه، والنفع بالبدن، وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرا، وأطيبهم نفسا، وأنعمهم قلبا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدرا، وأنكدهم عيشا، وأعظمهم هما وكما، وقد ضرب رسول الله في الصحيح مثلا للبخيل والمتصدق، كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد،

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣/٣٣٧

كلما هم المتصدق بصدقة اتسعت عليه وانبسطت، حتى يجر ثيابه ويعفى أثره، وكلما هم البخيل بالصدقة لزمت كل حلقة مكانها، ولم تتسع عليه، فهذا مثل انشراح صدر المؤمن المتصدق وانفساح قلبه، ومثل ضيق صدر البخيل وانحصار قلبه.

(٧) ومنها الشجاعة: فإن الشجاع منشرح الصدر، واسع البطان، متسع القلب. والجبان: أضيق الناس صدرا، وأحصرهم قلبا، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له ولا نعيم إلا من جنس ما للحيوان البهيمي، وأما سرور الروح ولذتها ونعيمها وابتهاجها فمحرم على كل جبان، كما هو محرم على كل بخيل، وعلى كل معرض عن الله سبحانه، غافل عن ذكره، جاهل به و بأسمائه تعالى وصفاته ودينه، **متعلق القلب** بغيره. وأن هذا النعيم والسرور يصير في القبر رياضا وجنة، وذلك الضيق والحصر ينقلب في القبر عذابا وسجنا، فحال العبد في القبر كحال القلب في الصدر، نعيما وعذابا، وسجنا وانطلاقا، ولا عبرة بانشراح صدر هذا لعارض، ولا بضيق صدر هذا لعارض، فإن العوارض تزول بزوال أسبابها، وإنما ا لمعول على الصفة التي قامت بالقلب توجب انشراحه وحبسه، فهي الميزان. والله المستعان.." (١)

"و العشق مسلك خطر، وموطيء زلق، غوائله لا تؤمن، وضحاياه لا تحصى، وأضراره لا يحاط بها.

وأهل العشق من أشقى الناس، وأذلِّهم، وأشغلهم، وأبعدهم عن ربهم.

[*] (قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: فإن الذي يورثه العشق من نقص العقل والعلم، وفساد الدين والخلق، والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا أضعاف ما يتضمنه من جنس المحمود.

وأصدقُ شاهدٍ على ذلك ما يعرف من أحوال الأمم، وسماع أخبار الناس في ذلك؛ فهو يغني عن معاينة ذلك وتجربته، ومن جرب ذلك أو عاينه اعتبر بما فيه كفاية؛ فلم يوجد قط عشق إلا وضرره أعظم من منفعته (١).

(وقال أيضاً: وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذاباً، وأقلهم ثواباً؛ فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها مستعبداً لها اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى؛ فدوام **تعلق القلب** بها أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب، ويزول أثره من قلبه.

وهؤلاء يُشَبَّهون بالسكارى والمجانين كما قيل:

سُكْران: سكر هوى وسكر مدامة ... ومتى إفاقةُ من به سكرانِ

وقيل:

قالو: جننت بمن تهوى فقلت لهم: ... العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهرَ صاحبُه ... وإنما يُصْرَعُ المجنونُ في حين (٢)

(وقال أيضاً متحدثاً عن حقيقة العشق: قيل: العشق هو فساد الإدراك، والتخيل والمعرفة؛ فإن العاشق يخيل له المعشوق على خلاف ما هو به، حتى يصيبه ما يصيبه من داء العشق.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٢٦/٣

ولو أدركه على الوجه الصحيح لم يبلغ إلى حد العشق وإن حصل له محبة وعلاقة (٣).
(وقال أيضاً: وقيل: إن العشق هو الإفراط في الحب حتى يزيد على القصد الواجب؛ فإذا أفرط فيه كان مذموماً فاسداً مفسداً للقلب والجسم (٤).

ولقد تظاهرت أقوال أهل العلم، والشعراء، والأدباء، ومن وقعوا في العشق في بيان خطورته، وعظيم ضرره.

قالوا: وإذا اقتحم العبد بحر العشق، ولعبت به أمواجه فهو إلى الهلاك أدنى منه إلى السلامة (٥).

[*] (وقال بعض الحكماء: الجنون فنون، والعشق من فنونه (٦).

وقالوا: وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله، وعرضه، ونفسه، وضيع أهله ومصالح دينه ودنياه (٧).

---

(١) الاستقامة ١/ ٤٥٩.

(٢) العبودية ص٩٧_٩٨.

(٣) جامع الرسائل ٢/ ٢٤٣_٢٤٤.

(٤) جامع الرسائل ٢/ ٢٤٢.

(٥) روضة المحبين ص ١٩٦.

(٦) روضة المحبين ص ١٩٧.

(٧) روضة المحبين ص ١٩٧.." (١)

"الخوف مستلزم للرجاء والرجاء مستلزم للخوف عند المؤمن، لأن كل خائف راجي وكل راجي خائف، ولهذا حسن وقوع الرجاء في مواضع يحسن فيه وقوع الخوف ((مالكم لا ترجون لله وقاراً)) .. قال المفسرين: مالكم لا تخافون لله عظمة، فكل راجٍ خائف من فوات مرجوّه، هذا يفسّر لنا كيف أن الرجاء مرتبط بالخوف وأن الراجي خائف أن يفوت مطلوبه ورحمة الله وجنته.

انظر إلى التداخل العجيب بين مقامات الإيمان في قلب المؤمن، والخوف بلا رجاء يأس وقنوط .. !!!

قال تعالى: ((قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله)) أي لا يخافون وقائع الله بهم كما وقعت في الأمم الذين من قبلهم من التدمير والإهلاك.

(١٠) ثم إن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربه فأعطاه ما رجاه فحصل المطلوب يحصل مزيد من التشجّع وسؤال المزيد والإقبال على الله وهكذا لا يزال العبد في ازدياد في الإيمان والقرب من الرحمن.

(١١) على قدر رجاء العباد وخوفهم يكون فرحهم يوم القيامة بحصول المرجو الأعظم وهو نيل رضا الرب والجنة ورؤية الله فيها.

وكذلك فإن الله يريد من العبد أن يكمل نفسه بمراتب العبودية من الذل والانكسار لله والتوكل عليه والاستعانة به والخوف

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٠٤/٤

منه والصبر على أقداره والشكر له وعلى إنعامه ولذلك يقدر الذنب على العبد لتكمل مراتب العبودية عند العبد فيستغفر العبد، فلولا الذنب ما حصل انكسار ولا توبة، يبتليهم بالذنوب ليعالج ما في قلوبهم بالانكسار وطلب التوبة فينكسر بين يدي الله فيتحقق معنى مهم جداً جداً من معاني العبودية .. !!

كيف تتحقق العبودية إذا لم يكن هناك انكسار وذل وخضوع .. ؟!!، أحياناً لا يصدر الانكسار والذل هذا إلا بذنب يتوب منه العبد ويعرف تقصيره والبلية التي وقع فيها وحجم المعصية.

الرجاء فيه انتظار وترقّب وتوقع لفضل الله عزوجل **فيتعلق القلب** أكثر بخالقه ..

[*] (أنواع الرجاء:

الرجاء ثلاث أنواع، نوعان محمودان ونوع غرور مذموم ..

النوع الأول: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فماذا يرجو؟ ثواب الله ..

النوع الثاني: رجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها فماذا يرجو؟ يرجو مغفرة الله ومحو الذنوب والتجاوز عنها وسترها ..

النوع الثالث: رجل متمادي في التفريط والمعاصي والسيئات ويرجو رحمة ربه والمغفرة بلا عمل!! فهذا غرور وتمني ورجاء كاذب لا يعتبر رجاء محموداً أبداً ..." (١)

"[*] وقال الفَخْرُ الرَّازي (١): لا مَقْصُودَ من جميع التَّكَالِيفِ إلا مَعْرِفَةُ ذُلِّ العُبُودِيَةِ وعِزِّ الرُّبوبِيَةِ، فإذا كان الدُّعَاءُ مُسْتَجْمِعاً لهذين المَقَامَيْنِ، لا جَرَمَ كان الدُّعَاءُ أعْظَمَ أنواع العبادات .

[*] وقال الشوكاني (٢): الآية الكريمة دَلَّتْ على أن الدُّعَاءَ من العبادة، فإنه سبحانه وتعالى أمَرَ عباده أن يَدْعُوهُ ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فأفاد ذلك أن الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ، وأنَّ تَرْكَ دُعَاءُ الرَّبِّ سبحانه اسْتِكْبَارٌ، ولا أقْبَحَ من هذا الاسْتِكْبَار .

[*] وقال الفَخْرُ الرَّازي (٣): من المعلوم بالضرورة أن الإنسان لا يَنْتَفِعُ في يوم القيامة إلا بطاعة الله تعالى، فلا جَرَمَ كان الاشتغال بالطَّاعَةِ مِنْ أهَمِّ الْمُهِمَاتِ، ولَمَّا كان أشرف أنواع الطَّاعات الدُّعَاءُ والتَّضَرُعُ، لا جَرَمَ أمَرَ الله سبحانه وتعالى به في هذه الآية فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ .

[*] وقال السِنْدِيُّ في شرحه لِسُنَنِ ابن مَاجَه:

الدُّعَاءُ من وظائف العبودية بل أعلاها .. ومن يعلم أن حقيقة العبادة إظْهَارُ التَّذَلُلِ والإفْتِقَارِ والإسْتِكَانَةِ، والدُّعَاءُ في ذلك في الغاية القصوى، يَظْهَرُ له سِرُّ كَوْنَ الدُّعَاءِ مُخُّ العِبَادَةِ (٤)

[*] وقال الشيخ علي الحُذَيْفِيُّ: الدُّعَاءُ تتحقق به عبادة ربِّ العالمين؛ لأنه يتضمَّن **تَعَلُّقَ القلبِ** بالله تعالى، والإخلاص له، وعدم الإلْتِفَاتِ إلى غير الله عزّ وجلّ في جَلْبِ النَّفْعِ ودَفْعِ الضُّرِ، ويتضمَّن الدُّعَاءُ اليقين بأن الله قدير لا يُعجزه شيء .. ويتضمَّن الدّعاءُ اِفْتِقَارَ العبدِ وشِدَّةَ اضطرارِه إلى ربّه، وهذه المعَاني العظيمةُ هي حقيقةُ العِبادة (٥)

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٤٣/٥

(١) أنظر تفسير الرازي على الآية (٥٥ . الأعراف)

(٢) أنظر تحفة الذاكرين، ص ٢٨ .

(٣) أنظر تفسيره على الآية (٦٠ . الأعراف)

(٤) أنظر شرح السندي لسنن ابن ماجه على الحديث رقم: ٣٨١٧، وحديث " الدعاء مخ العبادة " رواه الترمذي وضعفه الألباني .

(٥) من خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة المنورة لفضيلة الشيخ: علي الحذيفي بتاريخ: ١٣ - ٤ - ١٤٢٤هـ وهي بعنوان: فضل الدعاء وآدابه، يمكن قراءتها أو الاستماع إليها عبر موقع: www.alminbar.net على الشبكة العنكبوتية ." (١)

"(فالدعاء من أعظم العبادة لله تعالى، لأن فيه إظهاراً للذل والفاقة والحاجة إلى الله عز وجل، وفيه خضوع وخشوع له سبحانه من عبده الذي يدعوه.

(فإذا علمت أن الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ، فالأصل فيها: الاِتِّبَاعُ وَعَدَمِ الاِعْتِدَاءِ، والاِتِّبَاعُ في عِبَادَةِ الدُّعَاء يَجْمَعُ لك أجْرَيْنِ: أجْرُ الدُّعَاءِ، وأجْرُ الاِتِّبَاعِ .

﴿تنبيه﴾: (الذي يتأمل في قوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – (الدعاء هو العبادة) يتضح له وضوحاً جلياً كيف أن الله تعالى كرمه فياضٌ وجوده متتابع حيث جعل سؤال عباده له لقضاء حوائجهم من أعظم العبادات وأجلِّ القربات فعظَّم الرغبة عندهم في الدعاء حتى قال (الدعاء هو العبادة)، بل وذم ترك الدعاء وعدَّه استكباراً عليه وهدده بأشدِ أنواع التهديد حيث قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِيَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ)

(والدعاءُ تتحقَّق به عبادةُ ربِّ العالمين؛ لأنَّه يتضمَّن **تعلّقَ القلب** بالله تعالى، والإخلاصَ له، وعدمَ الالتفات إلى غير الله عز وجل في جلبِ النفع ودفع الضرّ، ويتضمَّن الدعاءُ اليقينَ بأنّ الله قدير لا يُعجزه شيء، عليم لا يخفى عليه شيء، رحمن رحيم، حيّ قيّوم، جواد كريم، محسِن ذو المعروف الذي لا ينقطع أبداً، لا يُحَدُّ جودُه وكرمه، ولا ينتهي إحسانُه ومعروفه، ولا تنفد خزائن بركاته.

فالدعاء استعانة من عاجز ضعيف بقوي قادر، واستغاثة من ملهوف برب قادر، وتوجه ورجاءٌ إلى مصرِّفِ الكون ومدبِّر الأمر، لِيُزِيلَ عِلَّة، أو يَرْفَعَ مِحْنَة، أو يَكْشِفَ كُرْبَة، أو يُحَقِّقَ رجاءً أو رَغْبَة ... قائلاً

يا أمان الخائفين سبحانك ما أحلمك على من عصاك وما أقربك ممن دعاك وما أعطفك على من سألك وما أرأفك بمن أمَلك، من الذي سألك فحرمته، ومن الذي فر إليك فطردته أو لجأ إليك فأسلمته، أنت ملاذنا ومنجانا فلا نعول إلا عليك ولا نفر من خلقك ومنك إلا إليك يا أمان الخائفين.

إن المؤمن حين يستنفد الأسبابَ في عمل مشروع، ويستعصي عليه الأمرُ، والأسبابُ لا تُوصِلُهُ إلى ما يسْعَى من أجْلِهِ،

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥/٣٣٤

ينقلُ الأمر كلَّهُ منْ قدُراتِهِ هو إلى قدرة الله، ويفزَعُ إلى الله تعالى واهبِ الأسباب ويقولُ: يا رب، ويدعو ... فالأسباب إذا تخلَّتْ فلن يتخلى عنه الله ... فهو سبحانه يجيب دعوة المضطرين ...." (١)

"(حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) قال: قدم عبد الرحمن بن عوف، فآخى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وعند الأنصاري أمرأتان، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال: بارك الله في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فأتى السوق فربح شيئا من أقط وشيئا من سمن، فرآه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أيام وعليه وضر من صفرة، فقال: (مَهْيَم يا عبد الرحمن) فقال: تزوجت أنصارية، قال: (فما سقت اليها)، قال وزن نواة من ذهب، قال: (أولم ولو بشاة).

وكان الصحابة يغدون إلى السوق ويشترون ويبيعون بنص السنة الصحيحة كما في الحديث الآتي:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا، ثم يتلو: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات – إلى قوله – الرحيم﴾. إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون.

(ج) الحرث والغرس والزرع، والزراعة فيها ميزة في التوكل على الله أكثر من غيرها فالمزارع إذا بذر عنده في قلبه توكل على الله أكثر من التاجر، كلهم يحتاجون التوكل لكن الزارع أكثر، فبعضهم قدم الزراعة من هذه الجهة لما فيها من مزيد **تعلق القلب** من الله في رجاء حصول النماء والنبات لهذا المحصول و بأن الثمرة تظهر ولا يصيبها آفة وهكذا ..

ثم إن الإنسان يبذل الأسباب في العلاج لأنه ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له شفاء بنص السنة الصحيحة كما يلي:

(حديث أسامة ابن شريك الثابت في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد: الهرم.

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: ما أنزل الله داءاً إلا أنزل له شفاء ا.

(حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما الثابت في صحيح مسلم) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن عز وجل.

(حديث ابن عباس الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: الدواء من القدر و قد ينفع بإذن الله تعالى.." (٢)

"فأركانه: حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع **وتعلق القلب** بالله وقطعهالأسباب، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على النبي)

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٣٥/٥

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١١٩/٦

(٢) بعد ترديد الأذان:

(حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله و أرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة.

(٣) عند ذكره وسماع اسمه أو كتابته:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ. وَرَغِم أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلاَهُ الْجَنَّةَ)

(٤) الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة:

(حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة وليلةَ الجمعة، فمنْ صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه عشراً.

(حديث أوس بن أوس رضي الله عنه الثابت في السلسلة الصحيحة) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: أكثرُوا علي من الصلاةِ يومَ الجمعةِ، فإنَّ صلاتَكم معروضةٌ عليَّ. قالوا كيف تعرض عليك وقد أرمت؟ قال إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.

[*] قال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في زاد المعاد: ورسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سيد الأنام ويوم الجمعة سيد الأيام فللصلاة عليه في هذا اليوم مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة فإنما نالته على يده فجمع الله لأمته به بين خيري الدنيا والآخرة فأعظم كرامة تحصل لهم فإنما تحصل يوم الجمعة فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد له إذا دخلوا الجنة وهو يوم عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد سائلهم وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن نكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته. ا هـ. (١)

---

(١) زاد المعاد (١/ ٢٨٣).." (١)

"[*] وقال الفَخْرُ الرَّازي (١): لا مَقْصُودَ من جميع التَّكَالِيفِ إلا مَعْرِفَةُ ذُلِّ العُبُودِيَةِ وعِزِّ الرُّبوبِيَةِ، فإذا كان الدُّعَاءُ مُسْتَجْمِعاً لهذين المَقَامَيْنِ، لا جَرَمَ كان الدُّعَاءُ أعْظَمَ أنواع العبادات .

[*] وقال الشوكاني (٢): الآية الكريمة دَلَّتْ على أن الدُّعَاءَ من العبادة، فإنه سبحانه وتعالى أمَرَ عباده أن يَدْعُوهُ ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فأفاد ذلك أن الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ، وأنَّ تَرْكَ دُعَاءُ الرَّبِّ سبحانه اسْتِكْبَارٌ، ولا أقْبَحَ من هذا الاسْتِكْبَار .

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٧/٢٢٤

[*] وقال الفَخْرُ الرَّازي (٣): من المعلوم بالضرورة أن الإنسان لا يَنْتَفِعُ في يوم القيامة إلا بطاعة الله تعالى، فلا جَرَمَ كان الاشتغال بالطَّاعَةِ مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَاتِ، ولَمَّا كان أشرف أنواع الطَّاعات الدُّعَاءُ والتَّضَرُعُ، لا جَرَمَ أَمَرَ الله سبحانه وتعالى به في هذه الآية فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ .

[*] وقال السِنْدِيُّ في شرحه لِسُنَنِ ابن مَاجَه:

الدُّعَاءُ من وظائف العبودية بل أعلاها .. ومن يعلم أن حقيقة العبادة إظْهَارُ التَّذَلُلِ والاِفْتِقَارِ والاِسْتِكَانَةِ، والدُّعَاءُ في ذلك في الغاية القصوى، يَظْهَرُ له سِرُّ كَوْنَ الدُّعَاءِ مُخُّ العِبَادَةِ (٤)

[*] وقال الشيخ علي الحُذَيْفِيُّ: الدُّعَاءُ تتحقق به عبادة ربِّ العالمين؛ لأنه يتضمَّن **تَعَلُّقَ القلبِ** بالله تعالى، والإخلاص له، وعدم الاِلْتِفَاتِ إلى غير الله عزّ وجلّ في جَلْبِ النَّفْعِ ودَفْعِ الضُّرِ، ويتضمَّن الدُّعَاءُ اليقين بأن الله قدير لا يُعجزه شيء .. ويتضمَّن الدّعاءُ اِفْتِقَارَ العبدِ وشِدَّةَ اضطرارِهِ إلى ربّه، وهذه المعَاني العظيمةُ هي حقيقةُ العِبادة (٥)

---

(١) أنظر تفسير الرازي على الآية (٥٥ . الأعراف)

(٢) أنظر تحفة الذاكرين، ص ٢٨ .

(٣) أنظر تفسيره على الآية (٦٠ . الأعراف)

(٤) أنظر شرح السندي لسنن ابن ماجه على الحديث رقم: ٣٨١٧، وحديث " الدعاء مخ العبادة " رواه الترمذي وضعفه الألباني .

(٥) من خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة المنورة لفضيلة الشيخ: علي الحذيفي بتاريخ: ١٣ - ٤ - ١٤٢٤هـ وهي بعنوان: فضل الدعاء وآدابه، يمكن قراءتها أو الاستماع إليها عبر موقع: www.alminbar.net على الشبكة العنكبوتية ." (١)

"(فالدعاء من أعظم العبادة لله تعالى، لأن فيه إظهاراً للذل والفاقة والحاجة إلى الله عز وجل، وفيه خضوع وخشوع له سبحانه من عبده الذي يدعوه.

(فإذا علمت أن الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ، فالأصل فيها: الاِتِّبَاعُ وَعَدَمِ الاِعْتِدَاءِ، والاِتِّبَاعُ في عِبَادَةِ الدُّعاء يَجْمَعُ لك أجْرَيْنِ: أجْرُ الدُّعَاءِ، وأجْرُ الاِتِّبَاعِ .

﴿تنبيه﴾: (الذي يتأمل في قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (الدعاء هو العبادة) يتضح له وضوحاً جلياً كيف أن الله تعالى كرمه فياضٌ وجوده متتابع حيث جعل سؤال عباده له لقضاء حوائجهم من أعظم العبادات وأجلّ القربات فعظَّم الرغبة عندهم في الدعاء حتى قال (الدعاء هو العبادة)، بل وذم ترك الدعاء وعدَّه استكباراً عليه وهدده بأشدِ أنواع التهديد حيث قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِيَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ)

(والدعاءُ تتحقَّق به عبادةُ ربِّ العالمين؛ لأنَّه يتضمَّن **تعلّقَ القلب** بالله تعالى، والإخلاصَ له، وعدمَ الالتفات إلى غير الله

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٥٥/٧

عز وجل في جلبِ النفع ودفع الضرّ، ويتضمَّن الدعاءُ اليقينَ بأنّ الله قدير لا يُعجزه شيء، عليم لا يخفى عليه شيء، رحمن رحيم، حيّ قيّوم، جواد كريم، محسِن ذو المعروف الذي لا ينقطع أبداً، لا يُحَدُّ جودُه وكرمه، ولا ينتهي إحسانُه ومعروفه، ولا تنفد خزائن بركاته.

فالدعاء استعانة من عاجز ضعيف بقوي قادر، واستغاثة من ملهوف برب قادر، وتوجه ورجاءٌ إلى مصرِّفِ الكون ومدبِّرِ الأمر، لِيُزيلَ عِلَّة، أو يَرْفَعَ مِحْنَة، أو يَكْشِفَ كُرْبَة، أو يُحَقِّقَ رجاءً أو رَغْبَة ... قائلاً

يا أمان الخائفين سبحانك ما أحلمك على من عصاك وما أقربك ممن دعاك وما أعطفك على من سألك وما أرأفك بمن أمّلك، من الذي سألك فحرمته، ومن الذي فر إليك فطردته أو لجأ إليك فأسلمته، أنت ملاذنا ومنجانا فلا نعول إلا عليك ولا نفر من خلقك ومنك إلا إليك يا أمان الخائفين.

إن المؤمن حين يستنفد الأسبابَ في عمل مشروع، ويستعصي عليه الأمرُ، والأسبابُ لا تُوصِلُهُ إلى ما يسْعَى من أجْلِهِ، ينقلُ الأمر كلَّهُ منْ قدُراتِهِ هو إلى قدرة الله، ويفزَعُ إلى الله تعالى واهبِ الأسباب ويقولُ: يا رب، ويدعو ... فالأسباب إذا تخلَّتْ فلن يتخلى عنه الله ... فهو سبحانه يجيب دعوة المضطرين ...." (١)

"[*] وقال ابن عطاء: للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات. فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه نجح.

فأركانه: حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع **وتعلق القلب** بالله وقطعهالأسباب، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على النبي)

(٢) بعد ترديد الأذان:

(حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله و أرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة.

(٣) عند ذكره وسماع اسمه أو كتابته:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلّ عَلَيّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ. وَرَغِم أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلاَهُ الْجَنّةَ)

(٣) الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة:

(حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة وليلةَ الجمعة، فمنْ صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه عشراً.

(حديث أوس بن أوس رضي الله عنه الثابت في السلسلة الصحيحة) أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: أكثرُوا علي

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٧/٢٥٦

من الصلاةِ يومَ الجمعةِ، فإنَّ صلاتَكم معروضةٌ عليَّ. قالوا كيف تعرض عليك وقد أرمت؟ قال إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.." (١)

"[*] وقال الفَخْرُ الرَّازي (١): لا مَقْصُودَ من جميع التَّكَالِيفِ إلا مَعْرِفَةُ ذُلِّ العُبُودِيَة وعِزَّ الرُّبوبِيَةِ، فإذا كان الدُّعَاءُ مُسْتَجْمِعاً لهذين المَقَامَيْنِ، لا جَرَمَ كان الدُّعَاءُ أعْظَمَ أنواع العبادات .

[*] وقال الشوكاني (٢): الآية الكريمة دَلَّتْ على أن الدُّعَاءَ من العبادة، فإنه سبحانه وتعالى أمَرَ عباده أن يَدْعُوهُ ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فأفاد ذلك أن الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ، وأنَّ تَرْكَ دُعَاءِ الرَّبِّ سبحانه اسْتِكْبَارٌ، ولا أقْبَحَ من هذا الاسْتِكْبَار .

[*] وقال الفَخْرُ الرَّازي (٣): من المعلوم بالضرورة أن الإنسان لا يَنْتَفِعُ في يوم القيامة إلا بطاعة الله تعالى، فلا جَرَمَ كان الاشتغال بالطَّاعَةِ مِنْ أهَمِّ الْمُهِمَات، ولَمَّا كان أشرف أنواع الطَّاعات الدُّعَاءُ والتَّضَرُّعُ، لا جَرَمَ أمَرَ الله سبحانه وتعالى به في هذه الآية فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ .

[*] وقال السِنْدِيُّ في شرحه لِسُنَنِ ابن مَاجَه:

الدُّعَاءُ من وظائف العبودية بل أعلاها .. ومن يعلم أن حقيقة العبادة إظْهَارُ التَّذَلُّلِ والاِفْتِقَارِ والاِسْتِكَانَةِ، والدُّعَاءُ في ذلك في الغاية القصوى، يَظْهَرُ له سِرُّ كَوْنَ الدُّعَاءِ مُخُّ العِبَادَةِ (٤)

[*] وقال الشيخ علي الحُذَيْفِيُّ: الدُّعَاءُ تتحقق به عبادة ربِّ العالمين؛ لأنه يتضمَّن **تَعَلُّقَ القلبِ** بالله تعالى، والإخلاص له، وعدم الاِلْتِفَاتِ إلى غير الله عزّ وجلّ في جَلْبِ النَّفْعِ ودَفْعِ الضُّرِ، ويتضمَّن الدُّعَاءُ اليقين بأن الله قدير لا يُعجزه شيء .. ويتضمَّن الدّعاءُ اِفْتِقَارَ العبدِ وشِدَّةَ اضطرارِهِ إلى ربّه، وهذه المعَاني العظيمةُ هي حقيقةُ العِبادة (٥)

(١) أنظر تفسير الرازي على الآية (٥٥ ـ الأعراف)

(٢) أنظر تحفة الذاكرين، ص ٢٨ .

(٣) أنظر تفسيره على الآية (٦٠ ـ الأعراف)

(٤) أنظر شرح السندي لسنن ابن ماجه على الحديث رقم: ٣٨١٧، وحديث " الدعاء مخ العبادة " رواه الترمذي وضعفه الألباني .

(٥) من خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة المنورة لفضيلة الشيخ: علي الحذيفي بتاريخ: ١٣ – ٤ – ١٤٢٤هـ وهي بعنوان: فضل الدعاء وآدابه، يمكن قراءتها أو الاستماع إليها عبر موقع: www.alminbar.net على الشبكة العنكبوتية ." (٢)

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٣٥/٨

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٦٣/٨

"(فالدعاء من أعظم العبادة لله تعالى، لأن فيه إظهاراً للذل والفاقة والحاجة إلى الله عز وجل، وفيه خضوع وخشوع له سبحانه من عبده الذي يدعوه.

(فإذا علمت أن الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ، فالأصل فيها: الاِتِّبَاعُ وَعَدَمِ الاِعْتِدَاءِ، والاِتِّبَاعُ في عِبَادَةِ الدُّعَاء يَجْمَعُ لك أجْرَيْنِ: أجْرُ الدُّعَاءِ، وأجْرُ الاِتِّبَاعِ .

﴿تنبيه﴾: (الذي يتأمل في قوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – (الدعاء هو العبادة) يتضح له وضوحاً جلياً كيف أن الله تعالى كرمه فياضٌ وجوده متتابع حيث جعل سؤال عباده له لقضاء حوائجهم من أعظم العبادات وأجلِّ القربات فعظَّم الرغبة عندهم في الدعاء حتى قال (الدعاء هو العبادة)، بل وذم ترك الدعاء وعدَّه استكباراً عليه وهدده بأشدِ أنواع التهديد حيث قال تعالى: (وَقَالَ رَبّكُمْ ادْعُونِيَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ)

(والدعاءُ تتحقَّق به عبادةُ ربِّ العالمين؛ لأنَّه يتضمَّن **تعلّقَ القلب** بالله تعالى، والإخلاصَ له، وعدمَ الالتفات إلى غير الله عز وجل في جلبِ النفع ودفع الضرّ، ويتضمَّن الدعاءُ اليقينَ بأنّ الله قدير لا يُعجزه شيء، عليم لا يخفى عليه شيء، رحمن رحيم، حيّ قيّوم، جواد كريم، محسِن ذو المعروف الذي لا ينقطع أبداً، لا يُحَدُّ جودُه وكرمه، ولا ينتهي إحسانُه ومعروفه، ولا تنفد خزائن بركاته.

فالدعاء استعانة من عاجز ضعيف بقوي قادر، واستغاثة من ملهوف برب قادر، وتوجه ورجاءٌ إلى مصرِّفِ الكون ومدبّرِ الأمر، لِيُزيلَ عِلَّة، أو يَرْفَعَ مِحْنَة، أو يَكْشِفَ كُرْبَة، أو يُحَقِّقَ رجاءً أو رَغْبَة ... قائلاً

يا أمان الخائفين سبحانك ما أحلمك على من عصاك وما أقربك ممن دعاك وما أعطفك على من سألك وما أرأفك بمن أمَلك، من الذي سألك فحرمته، ومن الذي فر إليك فطردته أو لجأ إليك فأسلمته، أنت ملاذنا ومنجانا فلا نعول إلا عليك ولا نفر من خلقك ومنك إلا إليك يا أمان الخائفين.

إن المؤمن حين يستنفد الأسبابَ في عمل مشروع، ويستعصي عليه الأمرُ، والأسبابُ لا تُوصِلُهُ إلى ما يسْعَى من أجْلِهِ، ينقلُ الأمر كلَّهُ منْ قدُراتِهِ هو إلى قدرة الله، ويفزَعُ إلى الله تعالى واهبِ الأسباب ويقولُ: يا رب، ويدعو ... فالأسباب إذا تخلَّتْ فلن يتخلى عنه الله ... فهو سبحانه يجيب دعوة المضطرين ...." (١)

"على نفي وإثبات، فنفت الإلهية عن كلِّ ما سوى الله تعالى، فكلُّ ما سوى الله من الملائكة والأنبياء فضلاً عن غيرهم فليس بإله، وليس له من العبادة شيء، وأثبتت الإلهية لله وحده، بمعنى أنَّ العبد لا يألَهُ غيرَه، أي لا يقصده بشيء من التألّه، وهو **تعلّق القلب** الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك.

وقد جاء في القرآن الكريم نصوصٌ كثيرةٌ تُبيّنُ معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وتوضح المراد بها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ١، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ ٢، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٣، وقال تعالى حكاية عن مؤمن يس ﷺ: ﴿وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِن

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٦٤/٨

دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ ٤، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ ٥، وقال تعالى حكاية عن مؤمن آل

---

١ سورة البقرة، الآية: (١٦٣) .

٢ سورة البينة، الآية: (٥) .

٣ سورة الزخرف، الآية: (٢٦ ـ ٢٨) .

٤ سورة يس، الآية: (٢٢ ـ ٢٤) .

٥ سورة الزمر، الآية: (١١ ـ ١٤) .." (١)

"فهذه كلماتٌ عظيمةٌ ينبغي على المسلم أن يتعلَّمها، وأن يحرصَ على قولها عندما يُصاب بالحزن أو الهمِّ أو الغمِّ، وليعلم كذلك أنَّ هؤلاء الكلمات إنَّما تكون نافعةً له إذا فَهم مدلولَها وحقَّق مقصودَها وعمل بما دلَّت عليه، أمَّا الإتيانُ بالأدعية المأثورة والأذكار المشروعية دون فهم لمعانيها ودون تحقيق لمقاصدها فإنَّ هذا قليلُ التأثير عديمُ الفائدة.

وإذا تأمَّلنا هذا الدعاءَ نجدُ أنَّه يتضمن أربعة أصول عظيمة، لا سبيل للعبد إلى نيل السعادة وزوال الهم والغم والحزن إلاَّ بالإتيان بها وتحقيقها.

أمَّا الأصل الأول: فهو تحقيقُ العبادة لله وتَمام الانكسار بين يديه، والخضوع له واعترافه بأنَّه مخلوق لله مَملوكٌ له هو وآباؤه وأمهاتُه، ابتداء من أبويه القريبين وانتهاء إلى آدم وحواء، ولهذا قال: "اللَّهمَّ إنِّي عبدُك وابنُ عبدك وابنُ أَمَتِك" فالكلُّ مماليك لله، وهو خالقُهم وربُّهم وسيِّدُهم ومدَبِّر شؤونهم، الذي لا غنى لهم عنه طرفة عين، وليس لهم من يعوذون به ويلوذون به سواه، ومن تحقيق ذلك التزام العبد عبوديته سبحانه من الذُّلِّ والخضوع والانكسار والإنابة وامتثال الأوامر واجتناب النواهي ودوام الافتقار إليه واللَّجأ إليه والاستعانة به والتوكل عليه والاستعاذة به، وأن لا **يتعلَّق القلبُ** بغيره محبَّةً وخوفاً ورجاءً.

وأمَّا الأصل الثاني: فهو أن يؤمن العبدُ بقضاء الله وقَدَره، وأنَّ ما شاء الله كان وما لَم يشأ لَم يكن، وأنَّه سبحانه لا مُعَقِّبَ لحُكمه ولا رادَّ لقضائه ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ١، ولهذا قال في هذا الدعاء "ناصيَتِي بيدك، ماضٍ فِيَّ حُكمُك،

---

١ سورة: فاطر، الآية (٢) .." (٢)

"الحجاب السادس: حجاب الشرك:

وهذا من أعظم الحجب وأغلظها وأكثفها .. وقطعه وإزالته تكون بتجريد التوحيد .. وإنما المعنى الأصلي الحقيقي للشرك

---

(١) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ١/١٨٨

(٢) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٣/١٨٦

هو تعلق القلب بغير الله سبحانه وتعالى .. سواء في العبادة .. أو في المحبة .. سواء في المعاني القلبية ... أو في الأعمال الظاهرة .. والشرك بغيض الى الله تعالى .. فليس ثمة شيء أبغض الى الله تعالى من الشرك والمشركين.

والشرك أنواع .. ومن أخطر أنواع الشرك "الشرك الخفي" ..
وذلك لعدم معرفة العبد به وقد يظن في نفسه الصلاح والتقى والهدى .. وأنه إنما يعبد الله وحده .. وأنه إنما يتقرب اليه بالطاعات .. ويتحبب اليه بالنوافل .. ولا يعلم أنه يشرك به من حيث لا يدري.
وقد تبدو لك خطورة هذا النوع من أنواع الشرك إذا تدبرت قول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون* ثم لك تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين* انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ [الأنعام: ٢٢ – ٢٤].

فجاهد أخي في تجريد التوحيد .. سل الله العافية من الشرك .. واستعذ بالله منه .. وقل في كل وقت .. "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك شيئا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه".

هنا يزول الحجاب .. مع الاستعانة .. والإخلاص .. وصدق اللجأ الى الله.

حجاب الشرك .. معناه أن يتعلق قلبك بغير الله سبحانه وتعالى .. وكون أن مجرد تعلق القلب بغير الله شركا .. وما هو المعنى من وراء هذه الكلمات القليلة المجملة .. ؟." (١)
"انتبه الى هذا .. فالمقصود أن هذه الأعراف .. والعادات .. والفضلات .. والمباحات .. قد تكون حجابا بين العبد وبين ربه .. قد تكون كثرة النوم حجابا بين العبد وبين الله .. النوم مباح .. لكن .. أن تنام فلا تقوم الليل .. ولا تصلي الصبح .. أو يصلي الصبح ثم ينام الى العصر فيضيع الظهر .. هكذا يكون النوم حجابا بين العبد وبين الله .. قد يكون الزواج وتعلق القلب به حجاب بين العبد وبين الله .. وهكذا الاهتمام بالمباحات والمبالغة في ذلك .. وشغل القلب الدائم بها ... قد يكون حجابا غليظا يقطعه عن الله.

نسأل الله عز وجل ألا يجعل بيننا وبينه حجابا ..

الحجاب الثامن: حجاب أهل الغفلة عن الله:
والغفلة تستحكم في القلب حين يفارق محبوبه جل وعلا .. فيتبع المرء هواه .. ويوالي الشيطان .. وينسى الله .. قال الله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ [الكهف: ٢٨] .. ولا ينكشف حجاب الغفلة

(١) كيف أتوب محمد حسين يعقوب ص/٣٥

عنه إلا بالانزعاج الناشئ عن انبعاث ثلاثة أنوار في القلب:

(١) نور ملاحظة نعمة الله تعالى في السر والعلن .. حتى يغمر القلب محبته جل جلاله .. فإن القلوب فطرت على حب من أحسن اليها ..

(٢) نور مطالعة جناية النفس .. حتى يوقن بحقارتها .. وتسببها في هلاكه .. فيعرف نفسه بالازدراء والنقص .. ويعرفربه بصفات الجمال والكمال .. فيذل نفسه لله .. ويحمل على نفسه عبادة الله .. لشكره وطلب رضاه.." (١)

"وأعانه .. ويبحث في عمله .. وكيف أنه لم يؤده على الوجه المطلوب .. بل شابه من الآفات ما يمنع قبوله عند الله .. فيجتهد في السير .. وإلا **فتعلق القلب** بالعمل .. ورضاه عنه .. وانشغاله به عن لمعبود .. حجاب ..

فإن رضا العبد بطاعته .. دليل على حسن ظنه بنفسه .. وجهله بحقيقة العبودية .. وعدم علمه بما يستحقه الرب جل جلاله .. ويليق ان يعامل به .. وحاصل ذلك أن جهله لنفسه وصفاتها وآفاتها .. وبعيوب عمله .. وجهله بربه وحقوقه .. وما ينبغي أن يعامل به .. يتولد من ذلك العجب والكبر والآفات .. فالرضا بالطاعة من رعونات النفس وحماقتها.

ولله درّ من قال: متى رضيت نفسك وعملك لله فاعلم أنه غير راض به .. ومن عرف أن نفسه مأوى كل عيب وشر .. وعمله عرضة لكل آفة ونقص .. كيف يرضى لله نفسه وعمله .. ؟!

وكلما عظم الله في قلبك .. صغرت نفسك عندك .. وتضاءلت القيمة التي تبذلها في تحصيل رضاه .. وكلما شهدت حقيقة الربوبية .. وحقيقة العبودية .. وعرفت الله .. وعرفت النفس .. تبين لك أن ما معك من البضاعة .. لا يصلح للملك الحق .. ولو جئت بعمل الثقلين خشيت عاقبته .. وإنما يقبله بكرمه وجوده وتفضله.

فحينها تتبرأ من الحول والقوة .. وتفهم أن لا حول ولا قوة إلا بالله فينقشع هذا الحجاب.." (٢)

"أما الطريق الآخر .. طريق الشهوات والزنا .. الخمر والنساء .. اللعب والتفلت .. أمامك الطريقان يا نفس .. فاختاري ما تريدين ..

أتريدين طرق أبي بكر وعمر .. ؟ أم طريق أبي جهل وأبي لهب .. ؟ تريدين طريق البررة أم طريق الفجرة .. ؟

اختاري لنفسك أيتها النفس .. ولكن اعلمي أنّ أكثرنا قد يمضي الى المعاصي لجهله بالجنة .. أو لجهله بالطريق الموصلة إليها ..

---

(١) كيف أتوب محمد حسين يعقوب ص/٣٧

(٢) كيف أتوب محمد حسين يعقوب ص/٣٩

فإذا أردت أن تعرف الطريق الى الجنة .. فاسأل الله سبحانه وتعالى أن يدللك عليها .. وإذا أردت الابتعاد عن طريق الهالكين فاسأله سبحانه وتعالى وعز وجل أن يهديك سواء السبيل ..

سابعا: تحطيم الأصنام:

الأهواء أصنام تعبد من دون الله لذلك قال تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الفرقان:٤٣] .. فالربا صنم .. والزنا صنم .. والتبرج صنم .. وأكل أموال الناس بالباطل صنم .. وكل ما تهواه النفس مما يغضب الله سبحانه وتعالى صنم ..

فالأغاني وحبها صنم .. والتلفزيون **وتعلق القلب** بما فيه صنم .. وحب المظاهر والزينة حرام .. والاستعلاء على الناس صنم ..

ولا تصفو التوبة حتى تتحطم كل هذه الأصنام .. وتسقط في قلبك سقطة لا تقوم لها بعدها قائمة ..

إن توبة مع تواجد هذه الأصنام في أغوار النفس توبة مدخولة .. لأن النفس أمارة بالسوء .. فإذا ما وجدت صنما من هذه الأصنام قائما بعد لم يحطمه صاحبه فإنها تغريه وتزينه له وتشوقه لعبادته القديمة .. وكلما أبى وتمنّع عاودت معه الكرّة تلو الكرّة .. حتى يعود من حيث جاء .. وتنهار توبته التي لم يحطم فيها جميع الأصنام ..

فلا بد لم أراد توبة نصوحا أن يحطم في نفسه كل ما يربطه بالماضي." (١)

"لماذا لا نتوب؟!!

إن التوبة ليست كلمة تقال .. ليست ظنا .. فإذا تبت فاصدق .. وعالج الصدق .. وتعال لنتساءل معا ..

لماذا لا نتوب .. ؟؟

إننا لا نتوب توبة نصوحا لوجود عوائق في طريق التوبة ..

سبع عوائق في طريق التوبة:

العائق الأول: **تعلق القلب** بالذنب:

قد **يتعلق القلب** بالذنب .. يتعلق بإمرأة .. بسيجارة .. بمال .. بحب النفس .. أو عبادة اللذات .. يتعلق بشيء من الذنوب والمعاصي ..

---

(١) كيف أتوب محمد حسين يعقوب ص/٦٥

والقلب إذا تعلق بشيء عز اقتلاعه منه .. ولكن تعالوا .. تعالوا لنعالج **تعلق القلب** بالذنب في نقاط ..

١ – نسيان الذنب:

أن تنسى ذنبك .. ففي بعض الأوقات قد يفيد تذكر الذنب لينكسر القلب بين يدي الله إذا رأى العبد من نفسه عجبا أو كبرا .. فإذا تذكر ذنبه ذل لله ..

ولكن ينتبه .. أنه إذا رأى من نفسه أنها إذا تذكرت سابق ذنبها تهيج خواطرها للعودة للمعصية فلينس ذنبه .. فلكل نفس ما يصلحها .. وقد يكون فيما يصلح غيرها ما يفسدها هي .. وكلّ أعلم بنفسه وأحوالها وإن غلبه الشيطان فأنساه ..

نعم نقول ينسى ذنبه إذا رأى من نفسه توقا إليه ..

وفي هذا يقول بعض السلف:" إنّك حال المعصية كنت في حالة جفاء مع الله سبحانه وتعالى .. اما بعد التوبة فقد أصبحت في حالة صفاء مع الله عز وجل .. وإنّ ذكر الجفاء في وقت الصفاء جفاء".

لذا .. انس ذنبك .. ولا تفكر فيه .. حتى لا تهيج في قلبك لواعج المعصية .. أو تتذكر حلاوة مواقعة الذنب.." [(١)]

"نفسٍ لُطفٌ، وفي كلِّ حركةٍ حكمةٌ، وفي كلِّ ساعةٍ فَرَجٌ، جعل بعدَ الليلِ صُبحاً، وبعد القحْطِ غَيْثاً، يُعطي ليُشْكر، ويبتلي ليعلم من يصْبِرُ، يمنحُ النَّعْماء ليسمع الثَّناء، ويُسلِّطُ البلاء ليُرفع إليه الدُّعاءُ، فحريٌّ بالعبدِ أن يقوِّي معه الاتِّصال، ويُمدَّ إليه الحبال، ويُكثِرُ السؤال ﴿وَاسْأَلُواْ اللهَ مِن فَضْلِهِ﴾ ، ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ .

لو لمْ تُرِدْ نيْل ما أرجو وأطْلُبُهُ ... مِن جُودِ كفِّك ما علَّمْتني الطَّلبا

انقطع العلاءُ بنُ الحضرميّ ببعضِ الصحابةِ في الصحراءِ، ونفِد ماؤُهم، وأشرفُوا على الموتِ، فنادى العلاءُ ربَّه القريب، وسأل إلهاً سميعاً مجيباً، وهتف بقولِهِ: يا عليُّ يا عظيمُ، يا حكيمُ يا حكيمُ. فنزل الغيثُ في تلك اللحظةِ، فشربُوا وتوضؤوا، واغتسلوا وسَقوْا دوابَّهم. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ .

وقفةٌ

«محبَّةُ اللهِ تعالى، ومعرفُته، ودوامُ ذِكْرِه، والسُّكُونُ إليه، والطمأنينةُ إليه، وإفرادُه بالحُبِّ والخوفِ والرجاءِ والتَّوكُّلُ، والمعاملةُ، بحيثُ يكون هو وَحْدَهُ المستولي على هومِ العبدِ وعزماتِهِ وإرادتِه. هو جنَّةُ الدنيا، والنعيمُ الذي لا يُشبِهُهُ نعيمٌ، وهو قُرَّة عينِ المُحِبين، وحياةُ العارفين» .

«**تعلُّقُ القلبِ** باللهِ وحدهُ واللَّهجُ بذِكرِهِ والقناعةُ: أسبابٌ لزوالِ الهمومِ والغمومِ، وانشراحُ الصدرِ والحياةُ الطَّيِّبة. والضِّدُّ

---

(١) كيف أتوب محمد حسين يعقوب ص/٧٧

بالضِّدِّ، فلا أضْيقُ صدراً، وأكْثَرُ همّاً، مِمَّنْ تعلَّق قلبُه بغيرِ اللهِ، ونسي ذِكْر اللهِ، ولم يقْنَعْ بما آتاهُ اللهُ، والتَّجرِبةُ أكبرُ شاهدٍ» ".. (١)

"علمه ببعض أعمال العباد وبعض أحوالهم وهذا الأخير فيه زيادة معنى وهو يدل على المجازات على ذلك العمل سواء كان خيرًا أو شرًا فيتضمن مع إحاطة علمه الترغيب والترهيب.

(٥١) مبنى الدين على قاعدتين الذكر والشكر وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل الذكر القلبي واللساني وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح وذلك لا يتم إلا بتوحيده فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه. وأما الشكر فهو القيام بطاعته فذكره جل وعلا مستلزم لمعرفته وشكره متضمن لطاعته وهذان هما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس.

قال أبو الدرداء: يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون به قيام الحمقى وصومهم والذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال من عبادة المغترين وهذا من جواهر الكلام وأدله على كمال فقه الصحابة وتقدمهم على من بعدهم في كل خير رضي الله عنهم.

(٥٢) لا شيء أفسد للأعمال من العجب ورؤية النفس ولا شيء أصلح لها من شهود العبد منة الله وتوفيقه والاستعانة به والافتقار إليه وإخلاص العمل له.

(٥٣) أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها ثلاثة **تعلق القلب** بغير الله، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية، وهي الشرك، والظلم والفواحش فغاية التعلق بغير الله شرك، وغاية القوة الغضبية القتل، وغاية القوة الشهوانية الزنا، ولهذا جمع الله الثلاثة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] ".. (٢)

"١٤٠- أكرم الأخلاق التواضع لرب العالمين.

١٤١- من اللؤم البغي عند المقدرة على من لم يبغ.

١٤٢- الإلحاح على المخلوق سبب الحرمان.

١٤٣- الآلف للدنيا المطمئن إليها مغرور.

١٤٤- الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

١٤٥- من أمارات الكذب والغش كثرة الإيمان.

١٤٦- الأمانة جالبة للرزق بإذن الله تعالى.

١٤٧- أملك الناس لنفسه أكتمهم لسره في الغالب.

١٤٨- إمساك المال خير من سؤال الناس.

---

(١) لا تحزن عائض القرني ص/٣٧٥

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٢/٣٨٠

١٤٩- إخلاص الأعمال لله من أكبر الأسباب لحصول كل خير واندفاع كل شر قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] . في قراءة بكسر اللام.

١٥٠- الاعتماد على الله والتوكل عليه أفضل عدة. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] .

قال أحد العلماء: من المتزهدين أقوام يرون التوكل قطع الأسباب كلها وهذا جهل بالعلم فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل الغار وشاور الطبيب ولبس الدرع وحفر الخندق ودخل مكة في جوار المطعم بن عدي وكان كافرًا وقال لسعد لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس فالوقوف مع الأسباب مع نسيان المسبب غلط والعمل على الأسباب مع تعلق القلب بالمسبب هو المشروع اهـ.

قُنُوعِيْ بِدُونِ الدُوْنِ لا نَقْص هِمَّةٍ ... وَلَكِنَّه شَيءٌ أَصُوْنُ بِهِ نَفْسِي

إِذَا كَانَ لِي فِي مَنْزِلِي قُوت ساعةٍ ...." (١)

"قسم الْأَحْوَال

وَأما قسم الْأَحْوَال فَهُوَ عشرَة أَبْوَاب وَهِي

الْمحبَّة والغيرة والشوق والقلق والعطش والوجد والدهش والهيمان والبرق والذوق

٦١ - بَاب الْمحبَّة

قَالَ الله عز وَجل من يرْتَد مِنْكُم عَن دينه فَسَوف يَأْتِي الله بِقوم يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ١

الْمحبَّة تعلق الْقلب بَين الهمة والأنس فِي الْبَذْل وَالْمَنْع على الْإِفْرَاد

والمحبة أول أَودِيَة الفناء والعقبة الَّتِي ينحدر مِنْهَا على منَازِل المحو وَهِي آخر منزل تلقى فِيهِ مُقَدّمَة الْعَامَّة ساقة الْخَاصَّة." (٢)

"وَمَا دونهَا أغراض لأعواض

والمحبة هِيَ سمة الطَّائِفَة وعنوان الطَّرِيقَة ومعقد النِّسْبَة

وَهِي على ثَلَاث دَرَجَات

الدرجَة الأولى محبَّة تقطع الوساوس وتلذ الْخدمَة وتسلي عَن المصائب

وَهِي محبَّة تنْبت من مطالعة الْمِنَّة وَتثبت بِاتِّبَاع السّنة وتنمو على الْإِجَابَة للفاقة

والدرجة الثَّانِيَة محبَّة تبْعَث على إِيثَار الْحق على غَيره وتلهج اللِّسَان بِذكرِهِ وَتعلق الْقلب بشهوده

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٢/٤٠٨

(٢) منازل السائرين الهروي، أبو إسماعيل ص/٨٨

وَهِي محبَّة تظهر من مطالعة الصِّفَات وَالنَّظَر فِي الْآيَات والارتياض بالمقامات

والدرجة الثَّالِثَة محبَّة خاطفة تقطع الْعبارَة وتدقق الْإِشَارَة." (١)

"عليك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين، ويضر ذمه ويشين، إلا الله وحده، كما قال ذلك الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم: إن مدحي زين، وذمي شين، فقال: " ذاك الله عز وجل ". (١)

فازهد في مدح من لا يزينك مدحه، وفي ذم من لا يشينك ذمه، وارغب في مدح مَن كل الزين في مدحه، وكل الشين في ذمه، ولن يُقدَر على ذلك إلا بالصبر واليقين، فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البر في غير مركب.

قال تعالى: " فاصبر إنَّ وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون " [الروم / ٦٠]

وقال تعالى: " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون " ... [السجدة/٢٤]

زبدة الكلام وخلاصة الختام

بان لنا أنَّ معوقات الإخلاص خمسة ـ عافاك الله منها:

١) الطمع: وعلاجه اليأس مما في أيدي الناس، **وتعلق القلب** بالله والرغبة فيما عنده.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٦٨) في أبواب فضائل القرآن، باب سورة الحجرات، وقال: حسن غريب، والإمام احمد في مسنده (٣/ ٤٨٨) وصححه الألاني في صحيح الترمذي (٢٦٠٥).." (٢)

"فأين يذهب القلب البشري بعيدًا عن الله، وهو معه أينما كان، في صحوه ونومه، في يقظته وغفلته، في إقباله وإدباره، لا يغيب منه شيء عن علم الله الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؟

أين يذهب من علمه الشامل ومن حسابه الشامل كذلك، وهو يحاسب على الصغيرة والكبيرة ويجزي بها في يوم القيامة.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ١.

ذلك هو وجدان التقوى الذي يعمر قلوب المؤمنين.

ولكن القلب المؤمن وإن كان يخشى الله فهو يحبه في ذات الوقت:

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ ٢. فالله هو الرءوف الرحيم. وهو الرب الودود الغفور. وهو الذي يرعى البشر ويهديهم إليه، ويرزقهم من الطيبات ويمنحهم من النعم ما لا يستطيعون أن يحصوه.

ومن خيطي الخشية والرجاء **يتعلق القلب** البشري المؤمن تعلقًا دائمًا بالله.. فيكون ذلك هو المعين الأول للتربية الإسلامية، وذلك هو الأثر المباشر لمصاحبة القرآن، وتدبر القرآن٣.

فلنحاول أن نلقي نظرة في داخل قلب من تلك القلوب التي آمنت بالله، لنتعرف على مسار الإيمان في ذلك القلب،

---

(١) منازل السائرين الهروي، أبو إسماعيل ص/٨٩

(٢) منطلقات طالب العلم محمد حسين يعقوب ص/١٠٧

ونتعرف على آثار التربية الإسلامية فيه.

كيف صنعت العقيدة الصحيحة في ذلك القلب، وكيف أثرت في سلوكه العملي؟

لقد كان، قبل لحظات من إيمانه، فردًا من أفراد هذا المجتمع الجاهلي، يفكر بتفكيره، ويشعر بمشاعره، ويتصرف بمفاهيمه وعاداته وسلوكه، ويعطي نفسه مكانه فيه في القمة أو الحضيض بحسب دستوره وشريعته السائدة، وعلى مقتضى القواعد والقيم التي يضعها ذلك الدستور، فإن كان ذا مال وبنين

---

١ سورة الزلزلة ٧-٨.

٢ سورة الإسراء ٧.

٣ انظر إن شئت فصل "تربية الروح" في الجزء الأول من كتاب "منهج التربية الإسلامية".." (١)

"يضيق إلا عند رؤية البطالين الفارغين من هذا الشأن فرؤيتهم قذى عينه، ومخالطتهم حمى روحه.

ومن أعظم أسباب ضيق الصدر، الإعراض عن الله تعالى **وتعلق القلب** بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه، فإن من أحب شيئًا غير الله عذب به، وسجن قلبه في محبة ذلك الغير.

فما في الأرض أشقى منه، ولا أكسف بالاً، ولا أنكد عيشًا ولا أتعب قلبًا.

فهما محبتان محبة هي جنة الدنيا، وسرور النفس، ونعيم الروح وغذاؤها، ودواؤها، بل هي حياتها، وقرة عينها، وهي محبة الله وحده، بكل القلب، وانجذاب قوى الميل، والإرادة، والمحبة كلها إليه.

ومحبة هي عذاب الروح وغم النفس وسجن القلب وضيق الصدر وهي سبب الألم والنكد والعناء، وهي محبة ما سوى الله سبحانه.

ومن أسباب شرح الصدر دوام ذكره على كل حال، وفي كل موطن فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه، وحبسه وعذابه.

ومنها الإحسان على الخلق ونفعهم، بما يمكنه من المال والجاه، والنفع بالبدن وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدرًا وأنكدهم عيشًا وأعظمهم همًا وغمًا.

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح مثلاً للبخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد، كلما هم المتصدق بصدقة اتسعت عليه وانبسطت، حتى يجر ثيابه ويعفي أثره." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

---

(١) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ٢/٢٦٧

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣/٣٥٠

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

أما بعد: «فإن أحسن ما أنفقت فيه الأنفاس هو التفكر في آيات الله وعجائب صنعه، والانتقال منها إلى **تعلق القلب** والهمة به دون شيء من مخلوقاته» .

«وآيات الرَّب هي دلائله وبراهينه التي بها يعرفه العباد، ويَعرفون أسماءه، وصفاته، وأفعاله، وتوحيده، وأمره، ونهيه» .

هاتان العبارتان مما جادت به قريحة الإمام العلامة محمد بن أبي بكر –ابن قيم الجوزية– رحمه الله (ت ٧٥١هـ) وسال به قلمه الذي طال النفع به الخلق الكثير.

وقال في الثناء على كتابه «مفتاح دار السعادة» : إن شئت اقتبست منه معرفة الصانع بطرق واضحات جليات تلج القلوب بغير استئذان، ومعرفة حكمته في خلقه وأمره. وإن شئت اقتبست منه معرفة قدر الشريعة وشدة الحاجة إليها؛ ومعرفة جلالتها وحكمتها، وإن شئت." (١)

"التفكر في البحر، والاعتبار بأمواجه وتنوع ما فيه،

من الجواهر والحيوانات وما في البر منها

الحمد لله الذي نوع أدلة ربوبيته وتوحيده وقامت من كل جانب، فعرفه الموفقون من عباده وأقروا بتوحيده إيمانًا وإذعانًا، وجحده المخذولون من خليقته وأشركوا به ظلمًا وكفرانًا، فهلك من هلك عن بينة وحيي من حيي عن بينة، والله سميع عليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يعلم أنه لا رب له سواه، ولا يعبد إلا إياه.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أكمل الله به الدين، وأتم به النعمة على عباده المؤمنين، لم يفارق الأمة حتى تركها على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا من كان من الهالكين ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التّوبَة: ١٢٨] .

أما بعد: فيا عباد الله– أحسن ما أنفقت فيه الأنفاس هو التفكر في آيات الله وعجائب صنعه، والانتقال منها إلى **تعلق القلب**

والهمة به دون شيء من مخلوقاته؛ ولهذا يكرر الله تعالى في القرآن." (٢)

"كذلك حال الناس مع الدنيا، فهم يلهون بطينها ويتنافسون عليها، ويفرحون بتحصيل أي شيء منها، ويظنُّون أن هذا هو غاية السعادة، فإذا ما استيقظ الإيمان في قلوب بعضهم، واستحكمت اليقظة منها، فإنهم – وبصورة تلقائية – لا يجدون في أنفسهم رغبة في مشاركة من حولهم اللهو بهذا الطين، وتنصرف رغبتهم – شيئًا فشيئًا – عنها .. هذا التحول

---

(١) موضوعات صالحة للخطب والوعظ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ص/٧

(٢) موضوعات صالحة للخطب والوعظ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ص/٩٦

ليس بأيديهم، بل هو انعكاس لطبيعة مرحلة «النمو الإيماني» الذي ارتقوا إليه، كحال من انتقل إلى مرحلة البلوغ من الأطفال عندما يأتيه أبوه بالدُمية التي طالما تاقت نفسه إليها في الصِغَر، فإذا به يتعامل معها بدون لهفة ولا شغف، وسُرعان ما يتركها ولا يُبالي بها.

وليس معنى انصراف الرغبة عن الدنيا هو هجرها وتركها وعدم التعامل مع مفرداتها، بل إن الفرد في هذه المرحلة يتعامل معها على أنها مزرعة للآخرة، وأنها مُسخَّرة له لتساعده في إنجاح مهمة وجوده عليها، ولا بأس من التمتع بها بالقدر الذي لا يُنسيه تلك المهمة.

أو بمعنى آخر: تخرج الرغبة في الدنيا، والشغف بها، والحرص واللهفة عليها من قلبه، فيتعامل معها بعقله قبل مشاعره، وبما يُحقق له مصلحته الحقيقية في الدارين، ويمكِّنه من نفع نفسه وأمته فيكون ممن يترك فيها أثرًا صالحًا، وبذلك تُصبح الدنيا في يده، يتحكم فيها ولا تتحكم فيه.

النمو الإيماني والتعامل مع المال:

المال هو أهم رمز «للدنيا»، والكثير من الناس يظنُّون أنهم يستطيعون من خلال وجوده معهم أن يُحققوا جميع أمانيهم ويجلبوا لأنفسهم السعادة، ويتمتعوا بمباهج الحياة كيفما شاءوا، لذلك يُشكِّل المال المادة الأساسية للطمع والتنافس والحسد بين الناس.

ولأن الشيطان يعلم ذلك، ويعلم طبيعة النفس وحبها الشديد للمال، وشُحِّها به؛ فإن من مداخله الرئيسية على الناس: إزكاء هذه الطبيعة فيهم، وتخويفهم من المستقبل المجهول، ومن احتمالية حدوث الفقر ... ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فإذا ما استيقظ الإيمان – يقظة حقيقية متمكنة من القلب – كان من أهم علامات التغيير الذي يحدث للمرء: اختلاف طريقة تعامله مع المال.

نعم، في البداية لا يكون التغيير كبيرًا، فالمال من أحب الأشياء للنفس ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

إلا أن النهم والشغف بالمال ستقِل ثائرته – نسبيًّا – في ذات العبد، وكلَّما نَمَا الإيمان أكثر انعكس ذلك على طريقة تعامله معه، فيزداد إنفاقه في أوجه الخير المختلفة، ويسهل عليه اتخاذ قرار الإنفاق لاسيما في أوقات العُسر والاحتياج ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وشيئًا فشيئًا ينقطع **تعلق القلب** بالمال، ومن ثَمَّ يصير حُرًّا منه، لا عبد له.

ومن مظاهر التغيير في هذا الجانب: نقص ملحوظ يشعر به المرء في فرحه عندما يُفاجأ بزيادة رصيده من المال، أو عند الفوز بصفقة رابحة، وكذلك نقص ملحوظ في حزنه عند فقده جزء من ماله، أو عند ضياع مصلحة دنيوية كانت في متناول يده، وليس معنى هذا أن مشاعر الفرح والحزن لا تتحرك لديه عند إقبال المال أو إدباره ولكنه انفعال لحظي سرعان ما يزول.

ومن المظاهر العملية للتغيير في هذا الجانب: السماحة في البيع والشراء، فتجده لا يُدقق في سعر الشيء ليشتريه بأرخص الأسعار، أو يُغالي فيه ليبيعه بأعلاها.." (١)

"وكلما نما الإيمان أكثر نقص التعلق بالناس، والطمع فيهم حتى يصل المرء لدرجة الاستغناء القلبي عنهم، أو بمعنى آخر: ينقطع **تعلق القلب** بهم من حيث النفع والضر.

نعم هو قد يطلب مساعدتهم في بعض الأعمال، لكنه يتعامل معهم باعتبار أنهم من جملة الأسباب التي قد يأخذ بها، أما الذي يُحرك الأحداث ويُنشئ النتائج فهو الله عز وجل، وما البشر إلا ستار لإظهار قدرته وربوبيته.

وكذلك فهو قد يأخذ منهم ما يُعطونه إياه بطيب نفس، ولكن يأخذه بمشاعر من يأخذ من الله عن طريقهم، وأنهم مجرد أدوات لتوصيل رزق ربه – سبحانه – إليه.

وهكذا تظهر بالتدريج ثمار الاستغناء عن الناس تبعًا لنمو الإيمان الحقيقي في القلب.

النمو الإيماني والتعامل مع أحداث الحياة:

الحياة الدنيوية ما هي إلا مشهد عظيم تتجلى فيه مظاهر صفات الله عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

والهدف العظيم من وجود المخلوقات بهذه الكثرة على اختلاف أشكالها وألوانها وأوصافها هو الدلالة على الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

والهدف كذلك من تقلبات أحداث الحياة من سرَّاء وضرَّاء، وعطاء ومنع، وصحة ومرض، إلخ؛ هو إظهار قدرته سبحانه وقيُّوميته، وعزته، ورحمته، وحكمته ... وسائر صفاته.

والإنسان هو المخاطب بهذا كله، وعليه أن يتعرف على ربه من خلال هذه المشاهد والأحداث التي تحدث أمامه، ويُشاهدها دومًا ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

لكن ظلمات الهوى والانكفاء نحو طين الأرض قد تحُول بينه وبين الرؤية الصحيحة والتحليل الحقيقي لهذه المشاهد والأحداث ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

فإذا ما استيقظ الإيمان؛ فإنه في البداية يكون بمثابة بصيص من النور يظهر في القلب يجعله ينتبه – بعض الشيء – لِما يجري حوله، وبخاصة في الآيات الكبيرة التي يرسلها الله عز وجل.

فإذا ما نما الإيمان أكثر، قوي نور البصيرة أكثر لتزداد الرؤية العامة وضوحًا، ويزداد ربط الأحداث والمشاهد بالله عز وجل.

نعم، من المتوقع ألا تكون هذه الرؤية حاضرة في كل الأوقات، بل ستكون نسبتها محدودة، ولكنها ستزداد مساحتها –

---

(١) نظرات في التربية الإيمانية مجدي الهلالي ص/٣٣

بإذن الله – بمرور الوقت وازدياد النمو الإيماني، لتسيطر على فكر العبد ومشاعره، فتجعله يعيش بكيانه في حقيقة التوحيد، فيَعْبُر من المشاهدة إلى شهود صفات الله عز وجل وهي تعمل، فيربط كل ما يحدث أمامه وكل ما يشاهده بالله عز وجل ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].." (١)

"ولأن العبرة بحال القلب قبل وأثناء العمل، فإن المتأمل لتوجيهات الشرع يجد أنها تحُثُّنا على تهيئة الأجواء المناسبة لاستجاشة المشاعر وحضور القلب قبل العمل.

فعلى سبيل المثال: الصلاة:

نجد أن الشرع يحثنا على تفريغ الذهن من الشواغل، وعدم تعلق القلب بشيء من شأنه أن يمنعنا من التركيز فيها، فإذا حضر الطعام مع دخول وقت الصلاة يُفضَّل البدء بالطعام حتى يدخل المرء إلى الصلاة وذهنه غير مشغول به.

وكذلك عند مدافعة الأخبثين .. قال صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان» (١).

ولا ينبغي للمرء أن يُسرع في خطواته إلى المسجد ليدرك الصلاة، بل عليه أن يمشي في سكينة وهدوء، فالإسراع من شأنه أن يجعله يدخل إلى الصلاة وهو مضطرب فيصعُب عليه جمع قلبه.

قال صلى الله عليه وسلم: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون عليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» (٢).

والحث على التبكير في الذهاب إلى المسجد قبل إقامة الصلاة له وظيفة مهمة في صرف شواغل الدنيا عن الذهن.

وكذلك فإن الحث على تذكُّر الموت قبل الصلاة من شأنه أن يستجيش المشاعر نحو الرجاء والطمع في عفو الله، والخوف والرهبة من عقوبته، فيزداد الحضور القلبي والخشوع فيها.

قال صلى الله عليه وسلم: «اذكر الموت في صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحَرِي أن يُحسن صلاته، وصلِّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها .. » (٣).

الإيمان ما وقر في القلب

كان (عمرو) يسير في الطريق فرأى أمامه حادث سيارة، وشاهد دماء المصابين متناثرة على الطريق، والكل يتسابق لإنقاذ ما يُمكن إنقاذه فتأثر تأثرًا بالغًا، وذهب إلى عمله وهو واجم، مذهول، فلا حديث مع الزملاء كسابق عهده، ولا ضحك، ولا غيبة، أو سخرية من الآخرين .. وظل طيلة يومه على هذا الحال، وبعد بضعة أيام بدأ يعود تدريجيًّا إلى سيرته الأولى.

فما الذي حدث حتى يتغير هذا التغيير، وما الذي حدث حتى يعود ثانية لسابق حاله؟!

الذي حدث أنه عندما شاهد ما شاهده في الطريق تأثر بما رآه، وطَفَتْ حقيقة الموت وإمكانية وقوعه في أي وقت على ساحة فكره، واستثيرت معها مشاعر الرهبة والخشية، فانتعش داخله الإيمان بحتمية الموت، فأثمر هذا الإيمان: يقظة جعلته

---

(١) نظرات في التربية الإيمانية مجدي الهلالي ص/٣٥

ينتبه لأحواله، ويُفكر في أموره، ويُدقق في كلامه وأفعاله .. وشيئًا فشيئًا ذهبت تلك الحالة، وهدأت المشاعر، فعاد مرة ثانية إلى غفلته، ليُمارس حياته كما كان يُمارسها من قبل.

ويتكرر الأمر مع آخَر سمع خطبة حارَّة تحُث على الإنفاق في سبيل الله، أو شاهد مناظر مؤثرة في التلفاز تُبيِّن حال الْمُشَرَّدين والبائسين والمنكوبين في بلدان المسلمين، فإذا به يُبادر بإخراج جزء من ماله في سبيل الله، بل ويدعو مَن حوله من أهله وجيرانه لذلك، وبعد بضعة أيام يعود إلى سابق عهده، وتفتُر همته عن الإنفاق وعن دعوة الناس إليه.

وسبب ذلك أنه قد حدث استثارة واستجاشة قوية ومؤثرة للمشاعر أثمرت هذا الإنفاق، وبعد ذلك هدأت المشاعر فتوقف الإنفاق.

فإن قلت: وما الحل لكي نستمر في اليقظة والقيام بالأعمال الصالحة بدوافع إيمانية؟

الحل يكمُن في القيام بالتربية الإيمانية الصحيحة التي تجعل القلب في حالة دائمة من اليقظة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٨ برقم ٥٦٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (١/ ٢٢٨، رقم ٦٠٩)، ومسلم (١/ ٤٢١، رقم ٦٠٣).

(٣) حديث حسن: أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (١/ ٤٣١، رقم ١٧٥٥)، وحسنه الحافظ ابن حجر في زهر الفردوس، وكذلك حسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٤٠٨ برقم ١٤٢١).." [١]

"ولأن الشيطان يعلم ذلك، ويعلم طبيعة النفس وحبها الشديد للمال، وشُحِّها به؛ فإن من مداخله الرئيسية على الناس: إزكاء هذه الطبيعة فيهم، وتخويفهم من المستقبل المجهول، ومن احتمالية حدوث الفقر ... ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فإذا ما استيقظ الإيمان – يقظة حقيقية متمكنة من القلب – كان من أهم علامات التغيير الذي يحدث للمرء: اختلاف طريقة تعامله مع المال.

نعم، في البداية لا يكون التغيير كبيرًا، فالمال من أحب الأشياء للنفس ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

إلا أن النهم والشغف بالمال ستقِل ثائرته – نسبيًّا – في ذات العبد، وكلَّما نَمَا الإيمان أكثر انعكس ذلك على طريقة تعامله معه، فيزداد إنفاقه في أوجه الخير المختلفة، ويسهل عليه اتخاذ قرار الإنفاق لاسيما في أوقات العُسر والاحتياج ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وشيئًا فشيئًا ينقطع **تعلق القلب** بالمال، ومن ثَمَّ يصير حُرًّا منه، لا عبد له.

ومن مظاهر التغيير في هذا الجانب: نقص ملحوظ يشعر به المرء في فرحه عندما يُفاجأ بزيادة رصيده من المال، أو عند الفوز بصفقة رابحة، وكذلك نقص ملحوظ في حزنه عند فقده جزء من ماله، أو عند ضياع مصلحة دنيوية كانت في متناول يده، وليس معنى هذا أن مشاعر الفرح والحزن لا تتحرك لديه عند إقبال المال أو إدباره ولكنه انفعال لحظي سرعان ما يزول

---

(١) نظرات في التربية الإيمانية مجدي الهلالي ص/٥١

يضبطه ميزان الزهد الحقيقي ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

ومن المظاهر العملية للتغيير في هذا الجانب: السماحة في البيع والشراء، فتجده لا يُدقق في سعر الشيء ليشتريه بأرخص الأسعار، أو يُغالي فيه ليبيعه بأعلاها.

وكلما قوي الإيمان أكثر وأكثر صار الإنفاق أحب إليه من الإمساك، وهو حين يفعل ذلك يفعله بدافع الثقة العميقة بأن الآخرة هي خير وأبقى، وأن الحياة في الجنة هي الحياة الحقيقية الدائمة التي ينبغي أن يتجهز لها العبد فيؤدي ذلك الإيمان إلى تحيُّن أي فرصة لإرسال ما يُمكن إرساله من أموال وخلافه إلى داره الباقية «هناك»، ويجد صعوبة في إبقاء الشيء لداره الدنيوية التي يشعر أنه سيتركها بين لحظة وأخرى.

ولك أن تتأكد من هذا المعنى أكثر وأكثر إذا ما راجعت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف أنه مات ودرعه مرهونًا عند يهودي مع أنه صلى الله عليه وسلم قد جاءته أموال كثيرة من الغنائم كغنائم خيبر والطائف، لكنه كان يُنفقها إنفاق من لا يخشى الفقر، فكما يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل يسأله العطاء فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر (١).

وعن عائشة أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما بقي منها؟» قالت: ما بقي منها إلا كتفها. قال: «بقي كلها إلا كتفها» (٢).

ولقد مرَّ علينا قول أبي الدرداء عندما عوتب في عدم وجود أغطية في بيته تقيه وتقي ضيوفه من برد الشتاء حيث قال: لنا دار هناك نُرسل إليها تباعا كل ما نحصل عليها من متاع، ولو كُنَّا استبقينا في هذه الدار شيئا منها لبعثنا بها إليكم.

---

(١) أخرجه مسلم في الفضائل (٢٣١٢).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٥٠)، والترمذي (٤/ ٦٤٤، رقم ٢٤٧٠) وقال: صحيح، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٥٤٤).." (١)

"وليس معنى هذا هو حب الفقر والرغبة فيه، فلقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه «وأعوذ بك من الكفر والفقر» (١). ولكننا – هنا – نتكلم عن حالة إيمانية سامقة يعيشها القلب تدفعه إلى الضن بالمال على الدنيا، والاكتفاء بأقل القليل لتيسير أموره فيها، وإرسال كل ما يُمكن إرساله إلى الدار الباقية، وحتى لو تمتع بنعمها فإنه يشكر الله عليها ولا يستعملها في معصيته.

ولقد كان هناك أثرياء في الصحابة رضوان الله عليهم نتيجة عملهم في التجارة كعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، ولكنهم كانوا يُحبون إنفاق أموالهم أكثر من حبهم لإمساكها، وكانوا يتحينون أي فرصة تتاح لهم لبذل الكثير من تلك الأموال كما فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه في تجهيز جيش العسرة، وشراء بئر رومة، وكما فعل عبد الرحمن بن عوف

---

(١) هيا بنا نؤمن ساعة – مجدي الهلالي مجدي الهلالي ص/٢٨

- كما مرَّ علينا - عندما أخرج كل تجارته التي جاءت من الشام لله عز وجل بعدما بلغه قول السيدة عائشة: بارك الله فيما أعطاه في الدنيا، ولثواب الآخرة أعظم.

الارتقاء الإيماني والتعلق بالبشر:

في أوقات الغفلة وقبل حدوث اليقظة الإيمانية، تكون ثقة المرء في ربه، وفي أنه مالك الكون ومدبر أموره والقائم عليه؛ محدودة، وفي المقابل تكون ثقته في الناس وفي قدراتهم الظاهرة أمامه كبيرة، ومن ثَمَّ يزداد إيمانه في إمكانية نفعهم أو ضرهم له، فيسعى لنيل رضاهم والاستفادة منهم، لذلك تجده يتزين لهم بأقواله وأفعاله .. يفرح بمدحهم، ويحزن من نقدهم .. يسعى دوما لتحسين صورته أمامهم لعله ينال حظوتهم.

فإذا ما حدثت اليقظة وازداد الإيمان قوة ورسوخًا في القلب ازدادت تبعًا له الثقة في الله عز وجل، ومن ثَمَّ تحولت هذه المشاعر تدريجيًّا نحوه سبحانه، وانصرفت عن الناس، فيقل الاهتمام بهم والتفكير فيهم، والحرص على نيل رضاهم، وإن كان رضاهم عنه سيتحقق بعد ذلك - بإذن الله - ولكن عن طريقه سبحانه - تبعًا لا قصدًا -.

قال صلى الله عليه وسلم: «من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، و من أسخط الناس برضا الله كفاه الله مُؤنَةَ الناس» (٢).

وقال: «إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض» (٣).

وكلما نما الإيمان أكثر نقص التعلق بالناس، والطمع فيهم حتى يصل المرء لدرجة الاستغناء القلبي عنهم، أو بمعنى آخر: ينقطع **تعلق القلب** بهم من حيث النفع والضر.

نعم هو قد يطلب مساعدتهم في بعض الأعمال، لكنه يتعامل معهم باعتبار أنهم من جملة الأسباب التي قد يأخذ بها، أما الذي يُحرك الأحداث ويُنشئ النتائج فهو الله عز وجل، وما البشر إلا ستار لإظهار قدرته وربوبيته.

وكذلك فهو قد يأخذ منهم ما يُعطونه إياه بطيب نفس، ولكن يأخذه بمشاعر من يأخذ من الله عن طريقهم، وأنهم مجرد أدوات لتوصيل رزق ربه - سبحانه - إليه.

وهكذا تظهر بالتدريج ثمار الاستغناء عن الناس تبعًا لنمو الإيمان الحقيقي في القلب.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٢٤، رقم ٢٩١٨٤)، وأبو داود (٤/ ٣٢٤، رقم ٥٠٩٠)، وأحمد (٥/ ٤٢، رقم ٢٠٤٤٦)، وقال الشيخ الألباني صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٩ برقم ٢٤١٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٠١٠).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣/ ١١٧٥، رقم ٣٠٣٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٠، رقم ٢٦٣٧).." (١)

---

(١) هيا بنا نؤمن ساعة - مجدي الهلالي مجدي الهلالي ص/٢٩